

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْفَرْدَاعِيَّةُ

لِإِمَامِ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِدِ الْفَرازِيِّ

٤٥٠ - ٥٥٠

صَفَقَهُ وَعَلَى عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ بَجَّار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِمَامِ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِدِ الْفَرازِيِّ

مُحَمَّدُ بَجَّار

بِذَلِكَ الْهُدَى لِلَّهِ

**جِمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةُ
الطَّبْعَةُ التَّاسِعَةُ
م ٢٠٠١ - هـ ١٤٤٦**

وَارَالبَسَارُ اِلِّي اِسْلَامِيَّة
للطباعة والنشر والتوزيع هاتفي: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٢٠٤٩٦٣
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb ص ١٤/٥٩٥٥ - بَيْرُوت - لِبَنَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِلَمَاءِ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَمَدِ الْفَزَّالِيِّ

٤٥٠ - ٥٥٠

مَقْفَهُ وَعَلَى عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ الْأَجْجَارُ

بَارِكَ اللَّهُ بَارِكَ الْإِسْلَامِيَّةَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لك يا رب حمدًا يوافي نعمك ويكافيء مزيدك،
وأشهد أن لا إله إلا أنت شهادة تُدخلنا بها مع أحبائك وأوليائك،
وأصلبي وأسلم على السيد السندي المحبوب، والواسطة
العظمى الله علام الغيوب، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين،
الذين شاد الله بهم الدين وأعز الإسلام والمسلمين.

أما بعد؛ فإن كتاب «بداية الهدایة» للإمام الشهير، والعالم
النحرير «أبي حامد الغزالی» رضي الله عنه ونفعنا به.

فقد تناوله العام والخاص، وأقبل عليه المبتدئ والمتلهي،
وقرر تدریسُه في القسم الأول والثاني في الأزهر الشريف، وكثير
من المدارس الشرعية.

فهو من أحسن الكتب المؤلفة لهذا الإمام، لأن موضوعه
متعلق بهدایة الطالب لأمر المعاد.

وقد قسمه رضي الله عنه إلى قسمين:

١ - القسم الأول:

في الطاعات، وفيه آداب النوم، والاستيقاظ منه، ودخول الخلاء، والوضوء، والغسل، والتيمم، والخروج من المسجد، ودخوله، وما بعد طلوع الشمس إلى التزوّل، وأداب الاستعداد لسائر الصلوات، التي هي أصل الدين، وأحد أركان الإسلام، وذكر فيه ما يتعلّق بالإماماة، والاقتداء، والجمعة، والصيام.

٢ - القسم الثاني:

في اجتناب المعاصي، وبين في معاصي القلب، وأنها أخطر من معاصي الجوارح، وأداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وَمَعَ الْخُلُقِ.

وقد حوى هذا الكتاب أصول الدين، وأمهات المسائل، ونفائس الفضائل، مع صغر حجمه، وإيجازه.

فجزى الله مؤلفه عن الأمة الإسلامية خير جزاء، وحضرني وإياه والمحبين وسائر الإخوان والأصدقاء مع سيد السادات وإمام الأنبياء.

و قبل شروعي في تصحیح الكتاب وتحقيقه، أقدم للقراء الكرام، صورة موجزة عن حياة المؤلف - رحمه الله تعالى - متبركاً بآثاره، ومستمطراً رحمة الله بذكرياته !! .

فأقول مختصرأً، نقلأً من «طبقات الشافعية» للإمام العلامة تاج الدين عبدالوهاب بن تقى الدين السبكي المتوفى سنة (٧٧١) ومن كتاب «إحياء علوم الدين» للمؤلف رحمة الله تعالى .

اسمها وكنيتها:

هو محمد بن محمد بن أحمد الإمام الجليل أبو حامد الطوسي الغزالى حجة الإسلام، ومحاجة الدين، التي يتوصى بها إلى دار السلام، جامع أشنات العلوم والمبرز في المتنقل منها والمفهوم !! .

كان رضي الله عنه ضراغاماً، إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى، وبدرأ تماماً إلا أن هداه يُشرق نهاراً، وبشراً من الخلق، ولكنه الطود العظيم، وبعضُ الخلق، ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم.

جاءَ والناسُ إلى رد فرية الفلسفه أحوجَ من الظلماءِ لمصابيحِ السماءِ، وأفقرَ من الجدباءِ إلى قطراتِ الماءِ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنفي بجلاد مقاله، ويحمي حوزة الدين، ولا يلطخ بدم المعذبين حدّ نصاله، حتى أصبحَ الدين وثيقَ العُرى، وانكشفت غياب الشبهات، وما كانت إلا حديثاً مفترى.

هذا مع ورع طوى عليه ضميره، وخلوٌ لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره، وتجريد تراه به وقد توحد في بحر التوحيد وباهي.

ترك الدنيا وراء ظهره، وأقبل على الله يعامله في سره وجهره.

مولده ونشأته:

ولد «بطوس» سنة خمسين وأربعين، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بـ«طوس» فلما حضرته الوفاة وصَّى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصرف من أهل الخير وقال له:

إن لي تأسفاً عظيماً على تعلم الخط، وأشتئي استدراك ما فاتني في ولدي هذين، فعلمهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما خلتفه لهما !!.

فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك التزr اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعزز على الصوفي القيام بقوتهم فقال لهما:

اعلما أنني قد أنفقت عليكم ما كان لكم، وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد بحيث لا مال لي، فأواسيكم به، وأصلح ما أرى لكمما أن تلتحا إلى مدرسة، فإنكمما من طلبة العلم، فيحصل لكمما قوت يعينكمما على وقتكمما. ففعلا ذلك !!.

وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما.

وكان الغزالى يحكى هذا ويقول:
«طلبنا العلم لنغير الله، فأبى أن يكون إلا الله».

صفة والده:

ويُحكي أن أباه كان فقيراً صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف، ويطوف على المتفقهه ويجالسهم، ويتوفر على خدمتهم، ويجد في الإحسان إليهم، والتفقه بما يمكنه عليهم، وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتصرع، ويسأله أن يرزقه ابنًا و يجعله فقيهاً.

ويحضر مجالس الوعظ، فإذا طاب وقته بكى. وسأل الله أن يرزقه ابنًا واعظاً، فاستجاب الله دعوته.

أما أبو حامد: فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، كلمة شهد بها الموافق والمخالف.

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين:

ثم إن الغزالى قدم نيسابور ولازم «إمام الحرمين» وجده واجتهد حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة وأحكם كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدى للرذ عليهم وإبطال دعاويمهم.

وصنف في كل فن من هذه العلوم كتاباً، أحسن تأليفها، وأجاد وضعها وترصيفها.

مواهبه:

وكان رضي الله عنه شديداً الذكاء، سديداً النظر، عجيباً
الفطرة، مفترط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غواصاً على
المعاني الدقيقة، جبل علم، مناظراً محجاجاً. ولما ألف
الغزالى كتابه «المنخول في الأصول» قال له أستاذه: «دفنتني وأنا
حيٌ».

إقامةه على التدريس:

وأقام على تدريس العلم ونشره، بالتعليم والفتيا والتصنيف
مدة؛ عظيم الجاه، زائد الحشمة، عالي الرتبة، مسموع الكلمة،
مشهور الاسم، تُضرب به الأمثال، وتُشد إليه الرحال، إلى أن
شرفت نفسه عن الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه، وترك كل
ذلك وراء ظهره.

رحلته وسياحته:

وقصد بيت الله الحرام فحج، وتوجه إلى الشام في ذي
القعدة، سنة ثمان وثمانين، واستناب أخيه في التدريس، وجاور
بيت المقدس، ثم عاد إلى دمشق واعتكف في زاويته بالجامع
الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه.

زهده وورعه:

ولبس الخشن من الثياب، وقلل طعامه وشرابه، وأخذ في التصنيف للإحياء، وصار يطوف المشاهد، ويزور الترب والمساجد، ويأوي إلى القفار، ويروض نفسه، ويجahدها جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، ويلوها بأنواع القرب والطاعات، إلى أن صار قطب الوجود، والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصل إلى رضا الرحمن.

عودته لبغداد:

ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدث بكتاب الإحياء.

ثم عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، وكل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق.

ثم رجع إلى مدينة طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء، وخانقاہ للصوفية، وزع أوقاته على وظائف:

من ختم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتدریس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام، وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه.

وفاته :

وكانت وفاته - قدس الله روحه - بـ «طوس» في يوم الاثنين، الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة، سنة خمس وخمسين، وله من العمر خمسة وخمسون عاماً.

ومشهده بها يزار بمقبرة الطبران.

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الثبات عند الممات»:

قال أحمد أخو الإمام الغزالى : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح ، توضأ أخي أبو حامد وصلى ، وقال :

علي بالكفن ، فأخذه وقبله ، ووضعه على عينيه ، وقال : سمعاً وطاعة للدخول على الملك ! ثم مد رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار ، رحمه الله تعالى ^(١).

تَبَطَّلَتِ الْمَرْيَنَتِيَّةُ الْمُنَوَّرَةُ
الْفَقِيرُ إِلَيْهِ تَعَالَى

محمد راجح شار

(١) انظر طبقات الشافعية والإحياء.

بِدَلِيلِهِ بِدَلِيلِهِ

لِإِمَامِ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِدِ الْفَرازِيِّ

٤٥٠ - ٥٥٠

صَفَقَهُ وَعَلَى عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ ابْنُ جَرَارٍ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنَّ هَذَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَدَىٰ ﴾^(١)

قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجّة الإسلام وبركة الأنام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي قدس الله روحه، ونور ضريحه آمين :

الحمد لله حق حمده، والصلوة والسلام على خير خلقه، محمد، وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد؛ فاعلم أيها الحريص، المقبل على اقتباس العلم، المظہر من نفسه صدق الرغبة، وفُرط^(٢) التعطش إليه أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمنهاة، والتقدم على الأقران، واستئالة وجوه الناس إليك، وجمع

(١) من سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٢) يقال: أفرط في الأمر جاوز فيه الحد، والاسم منه: الفرط، بالتسكين، يقال: إياك والفرط في الأمر. مختار الصحاح.

حطام^(١) الدنيا، فأنت ساع في هدم دينك، وإهلاك نفسك، وبيع آخرتك بدنياك، فصفقتُك خاسرة، وتجارتُك بايرة^(٢)، ومعلمك معين لك على عصيانك، وشريك لك في خسارتك، وهو كائع سيف من قاطع طريق! كما قال عليه السلام : «من أuan على معصية ولو بشطر كلمة، كان شريكاً له فيها»^(٣).

وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهدایة دون مجرد الروایة فأبشر؛ فإن الملائكة تبسط لك أجنبتها إذا مشيئت، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت؛ ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهدایة التي هي ثمرة العلم، لها بداية ونهاية، وظاهر وباطن، ولا

(١) حطم من باب ضرب، أي كسره فانحطم وتحطم، والتحطيم التكسير، والحطام ما تكسر من البيس. مختار الصحاح.

(٢) البور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه، وامرأة بور - أيضاً - وقوم بور هلكى.

قال الله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ فَوْمًا بُورًا﴾ من سورة الفتح، آية: ١٢. وهو جمع بائر. مختار الصحاح.

(٣) وفي رواية للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أuan على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقى الله مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله». .

وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، ولا عنور^(١) على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها.

وها أنا مشير عليك ببداية الهدایة، لتجرب بها نفسك، وتمتحن بها قلبك.

فإن صادفت قلبك إليها مائلاً، ونفسك بها مطاؤعةً ولها قابلةً، فدونك^(٢) التطلع إلى النهايات، والتغلغل في بحار العلوم.

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك^(٣) إياه بها مسوفاً، وبالعمل بمقتضها مماطلاً، فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء.

وقد انتهضت مطيعةً للشيطان اللعين، ليُدليك بحبل غروره، فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة^(٤) ال�لاك.

(١) وعثر عليه أطلع، وبابه نصر ودخل، ومعناه: لا اطلاع على باطنها.

(٢) هذا من باب الإغراء! وهو اسم فعل أمر بمعنى: خذه، منقول عن الظرف وما بعدها منصوب على أنه مفعول به لاسم الفعل في مثل قوله: دونك الكتاب. المعجم التحوي.

(٣) في المخطوط: مؤاخذتك.

(٤) الغمر بوزن الجمر الكبير، وقد غمره الماء علاه. وبابه نصر. =

وَقَصْدَهُ أَنْ يُرُوِّجَ عَلَيْكَ الشَّرُّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ حَتَّى
يَلْحِقَكُمْ ﴿١٣﴾ **بِالْأَخْسَرِينَ أَعْنَدَلَا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**
وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١).

وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَلَوُ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَضْلُ الْعِلْمِ وَدَرْجَةُ
الْعُلَمَاءِ! وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَثَارِ وَالْأَخْبَارِ، وَيُلْهِكَ عَنْ
قَوْلِهِ ﴿٢﴾:

«مِنْ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا
بُعْدًا»^(٢).

وَعِنْ قَوْلِهِ ﴿٣﴾:
«أَشَدُ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَالَمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ
بِعِلْمِهِ»^(٣).

= والغمرة بوزن الجمرة الشدة والجمع غمر بفتح الميم، كنوبة
ونوب. مختار الصحاح.

(١) من سورة الكهف، آية: ١٠٤/١٠٣.

(٢) أخرجه أبو منصور الدينلي في مسنن الفردوس.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير، وابن عدي في الكامل، والبيهقي
في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وكان ﷺ يقول :
«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشى، وعمل لا يُرَفَع، ودعا لا يُسْمَع»^(١).

وعن قوله ﷺ :
«مررت ليلة أسرى بي بأقوام تُفرض شفاهُم
بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : كُنّا نأمر بالخير
ولا نأديه ، وننهى عن الشر ونأتيه»^(٢).

فإياك^(٣) يا مسكيٌّ أن تُذْعَنَ لتزويجه ، فيُدليك بحبل
غروره .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ،
والحاكم ، عن أنس رضي الله عنه ؛ وهو حديث صحيح ، إلا أنه
لم يذكر : «وقلب لا يخشى».

(٢) أخرجه ابن حبان ، عن أنس رضي الله عنه .

(٣) وقد تكون «إيا» للتحذير تقول : إياك والأسد ؛ وهو بدل من فعل ،
كأنك قلت : باعد - أي - بينك وبين الأسد . والمعنى : حادر كل
الحدُر من أن تستكين له فهو أعدى الأعداء بعد النفس .

قال تعالى : **«إِنَّ الشَّيْطَنَ لِلإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»** من سورة
يوسف ، آية : ٥ .

فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة، وويل للعالم
حيث لم يعمل بما علم ألف مرة^(١).

(١) وقال سيدنا عيسى عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق
للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحررين.
وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف على هذه
الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف منافقاً علىما؟ قال: عليم
اللسان، جاهم القلب».

تَقْسِيمُ مُلَاقَاتِ الْعِلْمِ

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال:

١ - رجل طلب العلم ليتخدّه زاده إلى المعاد، ولم يقصد به إلا وجه الله، والدار الآخرة؛ فهذا من الفائزين.

٢ - ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة، وينال به العز والجاه والمال، وهو عالم بذلك، مستشعر في قلبه ركاكاً حاله، وخسنة مقصده، فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبية حيف عليه من سوء الخاتمة، وبقي أمره في خطر المشيئة، وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل، وأضاف إلى العلم العمل، وتدارك ما فرط فيه من الخلل، التحق بالفائزين، فإن :

«التائب من الذنب كمن لاذب له»^(١)!

(١) أخرجه ابن ماجه، والطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٣ - ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان، فاتخذ علمه ذريعةً إلى التكاثر بالمال، والتفاخر بالجاه، والتغزّل بكثرة الأتباع، يدخل بعلمه كلَّ مُدخل، رجاءً أن يقضي من الدنيا وطره^(١)، وهو مع ذلك يُضمر في نفسه أنه عند الله بمكان! لاتسامه بِسْمِ الْعُلَمَاءِ، وترسُّمه برسومهم في الرُّزْيِ والمنطق، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً.

فهذا من الهاكين، ومن الحمقى المغرورين!

إذ الرجاء منقطع عن توبيه لظنه أنه من المحسنين، وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَمْ تَقُولُوا نَّمَاءً لَّمْ نَفَعُوهُنَّ﴾^(٢).

وهو من قال فيهم رسول الله ﷺ :

«أنا من غير الدجال أخوفُ عليكم من الدجال، فقيل: ما هو يا رسول الله؟ فقال: علماء السوء»^(٣).

وهذا لأن الدجال غاية الإضلal.

(١) أي: مأربه وحاجته.

(٢) من سورة الكهف، آية: ٢.

(٣) لم أجده هكذا؛ بل بمعناه: «لأننا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال؛ فقيل: وما ذلك؟ فقال: الأئمة المضللين». أخرجه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه بإسناد جيد.

ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه
ومقاله، فهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله^(١).

(١) لطيفة :

قال عبدالله بن المبارك: لو لا خمسة ما اتجرت : السفيانان،
والفضيل، وابن السمك، وابن عليه.
فكان رضي الله عنه يصلهم بما له ويبلغ بالإحسان إليهم، فقيل
له يوماً: قد ولد ابن عليه القضاء، فقطع عنه بره، فركب إليه
ابن عليه فلما دخل عليه فلم يرمه فلما رأه، فعتبه عليه ابن
عليه، فكتب ابن المبارك له هذه الأبيات:

بِا جاعلَ الْعِلْمَ لَهُ بازِيَا
يصطادُ أموالَ الْمَسَاكِينِ
احتلَّ لِلنَّدِيَا ولِذَاتِهَا
بِحِيلَةٍ تذهبُ بِالدِّينِ
فصرَّتْ مجنونًا بِهَا بعْدَما
كنتْ دوَاءَ لِلْمَجَانِينِ
أَيْنَ روايَاكَ فِيمَا مَضَى
عَنْ ابْنِ عَوْنَى وَابْنِ سِيرِينَ
أَيْنَ روايَاكَ فِي سِرْدَهَا
فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلاطِينِ
إِنْ قَلْتَ أَكْرَهْتَ فَذَا بَاطِلَ
زَلَّ حَمَارُ الْعِلْمِ فِي الطَّينِ
فَلَمَا وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْأَبِيَاتِ قَامَ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ فَوْطَأَ بِسَاطَ =

ولسان الحال أفعحُ من لسان المقال، وطبعُ الناس
إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال.

فما أفسدَهُ هذا المغدور بِأعْمَالِهِ أَكْثَرَ مَا أَصْلَحَهُ
بِأَقْوَالِهِ! إِذْ لَا يَسْتَجِرُ الْجَاهِلُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا
بِاسْتَجْرَاءِ الْعُلَمَاءِ.

فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله على معاصيه.
ونفسهُ الجاهلة مُدَلَّةً مَعَ ذَلِكَ تمنيه وترجيه، وتدعوه إلى أن
يَمْنَ عَلَى الله بِعْلَمِهِ! وَتَخْيِلُ إِلَيْهِ نَفْسَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ
عَبَادِ الله!

فَكَنْ أَيْهَا الطَّالِبُ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ، وَاحْذِرْ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي!

فَكُمْ مِنْ مَسْوُفٍ عَاجِلَهُ الْأَجْلُ قَبْلَ التَّوْبَةِ فَخَسِرْ!
وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّالِثِ، فَتَهْلِكْ
هَلَاكًا لَا يُرجَى مَعَهُ فَلَاحُكَ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ^(١).

= الرشيد وقال: الله الله ارحم شيئاً فإني لا أصبر على القضاء
فأعفاه منه فاعاد ابن المبارك عليه عطاءه.

انظر كتاب الزهد لابن المبارك.

(١) وَهَا أَنَّا أَذْكُرُ لَكَ بَعْضَ مَا وَرَدَ فِي هَذَا مِنْ أَثْرٍ لِتَكُونَ عَلَيْهِ دِينُكَ
مِنْ حَذْرٍ:

=

.....
.....

= فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهمما عن النبي ﷺ أنه قال :

«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِبِاهِيَّ بِهِ الْعُلَمَاءِ، وَيَمْرِيَ بِهِ السُّفَهَاءِ، أَوْ لِيَصْرُفَ وِجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ: فَهُوَ فِي النَّارِ». وَفِي رِوَايَةِ: «أَدْخِلْهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ».

وروى الترمذى وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهمما عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ تَعْلَمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ، فَلْيَتَبُوأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ».

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

«لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تُمَارِدُوا بِهِ السُّفَهَاءِ، وَلَا تَخِرِّبُوا بِهِ الْمَجَالِسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ».

اـهـ من التـرغـيبـ والتـرهـيبـ للإـمامـ المـنـذـريـ .

أقول : إِمَامُنَا وَعَالَمُنَا الغَزَالِي - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي لِسُوفٍ كَبِيرٍ مِنْ فَلَاسِفَةِ عِلْمِ النَّفْسِ، فَيُعْتَبَرُ فِي هَذَا الْحَقْلِ الْفَسِيْحَ أَكْبَرُ مَرِبٍ، وَأَعْظَمُ مَرِشدٍ، وَأَخْلَصُ نَاصِحٍ، وَقَفَ عَلَى الدَّاءِ، وَوَصَّفَ الدَّوَاءَ وَصَفَّ خَبِيرٍ عَلِيمٍ، ثُمَّ حَذَرَ وَأَنْذَرَ، وَبَيْنَ وَضْحَ وَغُثْرَ مُغْتَرٌ بِعِلْمِهِ، أَوْ بِعَمْلِهِ، إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ بِالْإِخْلَاصِ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ؛ لَأَنَّهُ سَبِّحَهُ لَا يَقْبِلُ مِنَ الْعَمَلِ - مَهِمَا كَانَ - إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتَغَى بِهِ وَجْهًا، وَقَدْ بَسَطَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ فَارْجِعْ إِنْ شَئْتَ إِلَيْهِ تَجْدُّدَ مَا يُسْرِكُ . اـهـ مـحمدـ .

ولنبدأ أولاً قبل الخوض فيما يراد من بداية الهدية بالخوض في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة، التي هي آكذ مباني الإسلام ، فيقال :

معنى الكلمة الأولى :

الحمد لله المبدىء المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد، والبطش الشديد، الهدى صفوَ العبيد، إلى المنهج الرشيد، والمسلكُ السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد، بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السابق لهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ، واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، والمتجلِّي لهم في ذاته وأفعاله، بمحاسن أو صافه التي لا يُدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم في ذاته : أنه واحد لا شريك له ، فرد لا مثل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له ، واحد قديم لا أول له ، أزلٌ لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدٌ لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت العجالة ، لا يُقضى عليه بالانقضاء وتنصرم الآباء ، وانفراط الآجال؛ بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء علِيم .

التنزيه:

وأنه ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، فإنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا قبول الانقسام، فإنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض؛ بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود، وليس كمثله شيء، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحويه الجهات، ولا تكتنفه السموات، وأنه مستوطن على العرش، على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً متزهاً عن المساسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش؛ بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء؛ بل هو رفيع الدرجات على العرش.

كما أنه رفيع الدرجات على الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، فهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام.

وأنه لا يحُلُّ في شيء، ولا يُحَلُّ فيه شيء، تعالى أن يحيي مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان؛ بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان.

وأنه باطن عن خلقه بصفاته، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته.

وأنه مقدس عن التغيير والانتقال، ولا تحله الحوادث، ولا تعترىه العوارض؛ بل لم يزل ولا يزال في نعوت جلاله مُنْزَهاً عن الزوال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال.

وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقل، مرئيُّ الذات بالأبصار، نعمَّ منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار، وإتماماً للنعميم بالنظر إلى وجهه الكريم.

القدرة:

وأنه حُيٌّ قادر، جبار قاهر، لا يعترىه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، إنه ذو الملك والملكون، والعزة والجبروت، له السلطان والقهر، والخلق والأمر، والسموات مطويات بيمنيه، والخلائق مقهورون في قبضته.

وأنه منفرد بالخلق والاختراع، متوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وأجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا تعزب عن إرادته تصارييفُ الأمور، لا تُحصى مقدوراته، ولا تنتهي معلوماته.

العلم :

وأنه عالمٌ بجميع المعلومات، محيط بما يجري من تخوم الأرض إلى أعلى السموات، ولا يعزُّ عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يُدرك حركة الذر في الهواء، يعلم السر وأخفى، ويطلع على هوا جس الصمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلمٍ قديم أزلي؛ لم يزل موصوفاً به في أزل الأزل، لا بعلمٍ مجدد حاصلٍ في ذاته بالحلول والانتقال.

الإرادة :

وأنه مرید للکائنات، مدبر للحوادث، فلا يجري في الملك والملکوت قليل ولا كثير، صغیر أو کبیر، خیر أو شر، نفع أو ضُر، إیمان أو كفر، عُرفان أو نُکر، فوز أو خُسر، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، كفر أو إیمان؛ إلا بقضائه وقدره، وحُکمته ومشیئته، فما شاء کان، وما شاء لم يكن، لا يخرج عن مشیئته لفتة ناظر، ولا فلتة خاطر؛ بل هو المبدىء المعید، والفعال لما يريد، لا راد لحُکمِه، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته، من

لو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين، على أن يحرکوا في العالم ذرةً أو يسكنوها لعجزوا عنه.

وأن إرادته قائمة بذاته، في جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفاً مُريداً في أزله، سبقت إرادته وجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها، فُوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله، من غير تقدم أو تأخر، ووُقعت على وفق علمه وإرادته، من غير تبدل ولا تغير، دُبِّر الأمور لا بترتيب أفكار وتريض زمان، فلذلك لم يشغله شأنٌ عن شأنٍ.

السمع والبصر:

وأنه سميع بصيرٍ، يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دقّ، ولا يحجب سمعه بعده، ولا يدفع رؤيته ظلامً، يرى من غير حدة وأجفان، ويسمع من غير أصحة وأذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ لا تُشبه صفاتُه صفاتُ الخلق، كما لا تُشبه ذاتُه ذاتَ الخلق^(١).

(١) لقد سلك المؤلف في هذا على مذهب الخلف. وأما السلف فقد أثبتو هذه الأشياء لله تعالى خوفاً من التعطيل وقالوا: هو مenze عن المثليل. اهـ محمد.

الكلام^(١):

وأنه متكلم أمر ناه، واعد متوعد، بكلام أزلي قديم، قائم بذاته، لا يُشبه كلام الخلق، وليس بصوت يحدث من

(١) أقول: وأما يجوز في حقه تعالى: فهو فعل ما يشاء من الممكنات وتركه:

فلا يجب عليه فعل ممكناً ولا تركه، وله أن يُعذب الطائع، ويُنعم الكافر، ولا فُتح في فعله؛ بل كل ما يفعله حسن، وإن كان لا يفعل ذلك؛ إذ ليس كل جائز واقعاً؛ بل بعض الجائزات يقع لا محالة بالوعد الصادق كتعنيم الطائع، وتعذيب الكافر، والمحشر والميزان، ونحوها، لا لوجوبه في ذاته؛ بل لإخباره تعالى: أنه يقع، ولا خلاف في خبره.

وبعضها لا يقع أبداً: كالنبوة بعده عليه الصلاة والسلام، وتنعيم الكافر، لا لاستحالته عقلاً؛ بل لإخبار الله تعالى أنهما لا يقعان، فاستحال وقوئهما شرعاً لا عقلاً؛ بل هما جائزان عقلاً من غير نظر إلى ما ورد به الشرع. اهـ باختصار من بشرى الكريم ١٠/١.

أقول:

فالمؤلف رحمه الله تعالى قد تناول هذه المواضيع في كتابه الإحياء في قسم العقيدة، وشرحها على طريقته القربية التي ليست بمعقدة؛ بل هي واضحة سهلة، يفهمها من له ممارسة في هذا الفن وغيره، كما سلك في كتابه هذا فجزاه الله عنا خيراً. اهـ محمد.

انسال هواء، ولا حرف ينقطع بإطباقي شفة، أو تحريك لسان، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، كتبه المنزلة على رُسله.

وأن القرآن مقرء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، وأنه مع ذلك قديم، قائم بذات الله، لا يقبل الانفصال والافراق بالانتقال إلى القلوب أو الأوراق، وإن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف، كما يرى الأبرار ذات الله من غير جوهر ولا عَرَض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حيَا عالماً، قدِيرًا مريداً، سميعاً بصيراً، متكلماً: بالحياة والقدرة، والعلم والإرادة، والسمع والبصر، والكلام لا بمجرد الذات.

الأفعال:

وأنه لا موجود سواه، إِلَّا وهو حادث بفعله، وفائقُ من عدله على أحسن الوجوه، وأكملها وأتمها وأعدلها، وأنه حكيم في أفعاله، عادل في أقضيته، لا يقاس عدله بعدل العباد، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره، ولا يتصور الظلم من الله، فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى لا يكون تصرفه فيه ظلماً، وكل ما سواه من جن وإنس، وشيطانٍ ومَلَكٍ، وسماء وأرض، وحيوان ونبات، وجوهر

وعَرَضَ وَمَدَرَ، هُو مَحْسُوسٌ حَادِثٌ، اخْتَرَعَ بِقَدْرَتِهِ بَعْدَ
الْعَدَمِ اخْتِرَاعًا، وَأَنْشَأَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا.

إِذْ كَانَ فِي الْأَزْلِ مُوجُودًا وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ،
فَأَحَدَثَ الْخَلْقَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ إِظْهَارًا لِلْقُدْرَةِ، وَتَحْقِيقًا لِمَا
سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَحْقٌ فِي الْأَزْلِ مِنْ كَلْمَتِهِ، لَا لِافْتَقَارِهِ إِلَيْهِ
وَحْاجَتِهِ.

وَأَنَّهُ مُتَفَضَّلٌ بِالْخَلْقِ وَالْاخْتِرَاعِ وَالتَّكْلِيفِ لَا عَنْ
وُجُوبِهِ، وَمُتَصَفٌّ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِصْلَاحِ لَا عَنْ لَزْوَمِهِ، فَلَهُ
الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ، وَالنِّعْمَةُ وَالْأَمْتَانُ، إِذْ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ
يُصْبِّ عَلَى عِبَادِهِ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ، وَيُبَيِّنُهُمْ بِضَرْبِ الْأَلَامِ
وَالْأَوْصَابِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عَدْلًا، وَلَمْ يَكُنْ
قَبِيحًا وَلَا ظَلْمًا، وَأَنَّهُ يُثِيبُ عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ بِحُكْمِ
الْكَرْمِ وَالْوَعْدِ، لَا بِحُكْمِ الْاسْتِحْقَاقِ وَاللَّزْوَمِ، إِذْ لَا يَجِبُ
عَلَيْهِ فَعْلُهُ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظَلْمٌ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ،
فَإِنْ حَقَّهُ فِي الطَّاعَاتِ وَاجِبٌ عَلَى الْخَلْقِ، بِإِيجَابِهِ عَلَى
لِسَانِ أَنْبِيائِهِ لَا بِمُجْرِدِ الْعُقْلِ؛ وَلَكِنَّهُ بَعْثَ الرُّسُلِ، وَأَظْهَرَ
صَدْقَهُمْ بِالْمَعْجزَاتِ الظَّاهِرَةِ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَوَعَدُوهُ
وَوَعَيْدَهُ، فَأَوْجَبُ عَلَى الْخَلْقِ تَصْدِيقَهُمْ فِيمَا جَاءُوكُمْ مِّنْهُ.

معنى الكلمة الثانية:

وهي شهادة الرسول ﷺ، وأنه بعث النبي الأمي القرشي «محمدًا» ﷺ برسالته إلى كافة العرب والجم، والجن والإنس، فنسخ بشرعيته الشرائع إلا ما قرر، وفضلَه على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله ما لم تفترن به شهادةُ الرسول وهو قوله محمد رسول الله ﷺ، وألزمَ الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمر الدنيا والأخرة^(١).

(١) أقول:

إن الله تعالى قد أرسل رسوله عليه الصلاة والسلام، إلى الثقلين: يعني الإنس، والجن، إجماعاً، وكذا رسالته تناولت الملائكة؛ ولكن الإرسال الأول إرسال تكليف، والثاني إرسال تشريف وتكريم.

والرسول: هو إنسان، حُرّ، ذكر، من بني آدم. فهو أكمل من أرسل إليه: علماً، وفِطْنَةً، وقوَّة رأي، وثاقب فكر، سليمٌ من دناءة الأصول، وخنا الأمهات وإن علوا، وسليم - أيضاً - من كل منفر طبعاً.

وما نقل عن سيدنا أيوب فهو من الإسرائيليات الدخيلة.
وقد أُوحى إليه بشرع وأمر بتبلیغه، فإن لم يؤمن فنبي فینهما عموم وخصوص مطلق هذا هو الصحيح المشهور.

وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت، وأوله: سؤال منكر ونكير، وهما شخصان مهيبان هائلان، يُقعدان الميت في قبره سوياً، ذا روح وجسد، فيسأله عن التوحيد والرسالة، ويقولان له: مَنْ رَبُّك؟ وما دينك؟ ومنْ نبيك؟^(١).

= وإن الله تعالى أرسل رسولنا ﷺ رحمة للأنام أي الخلق أجمعين.

وأما كونه رحمة للمؤمنين، فدل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، بلا شك ولا ريب.

وأما كونه رحمة لنغير المؤمنين، فإن الله تعالى لا يعاجلهم العقوبة بالمسخ والخسف، والأخذ بفتة، أو استئصالهم في الهلاك والدمار، كما وقع للأمم السابقة.

وإذا أردت التوسيع في هذا فعد إلى كتب التوحيد، واقرأ ما بيئه العلماء لتسفيه، لأن هذا الفن، له أهميته ومكانته تعلقه بالعقيدة. اهـ محمد.

(١) وإن لم يدفن، أو أحرق وصار رماداً بعد إكمال دفنه، بعد إعادة الروح إلى جميع البدن، ولا يسألان عن غير الاعتقاد. والسؤال لكل مكلف إلا من استثنى: كالأنبياء والشهداء، والصديق، والمرابط، والمبطون، وملازم قراءة تبارك كما قاله القرطي.

ومن لا يُسئل في قبره لا يعذب فيه، وكل مؤمن يوفق للجواب ولو عاصياً بعد تجلج. والنعيم والعذاب للروح والجسد وإن صار تراباً. اهـ محمد.

وهما فتاناً القبر، وسؤالهما أول فتنة بعد الموت، وأن
تؤمن بعذاب القبر، وأنه حق وحكمة وعدل على الجسم
والروح على من يشاء^(١).

وتؤمن^(٢) بالميزان ذي الكفتين واللسان، وصفته في
العظيم مثل طباق السموات والأرض، وتوزن فيه الأعمال

(١) روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال:
«إن الموتى ليعدبون في قبورهم، حتى إن البهائم لتسمع
أصواتهم». رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«لولا أن لا تدافنوا للدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر».

(٢) لثبت ذلك في الكتاب والسنّة قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
الْحُقُّ﴾.

وهو ذو كفتين ولسان، توزن فيه الأعمال فعلاً وقولاً.
واختلف في أنه واحد، أو متعدد، وفي أن للكافر وزناً أو لا؟
وفي أن الموزون صحف الأعمال، أو أجسام لها على قدر
الأعمال في الثواب والعقاب فيه خلاف.
يكفيها الإيمان بالوزن والميزان من غير تعين.

وهو ميزان حسي له لسان وكفتان كما تقدم:
١ - إحداهما نيرة وهي اليمني المعدة للحسنات.
٢ - والأخرى مظلمة، وهي اليسرى المعدة للسيئات.
وقال تعالى: ﴿وَنَصَّعُ الْمَوْزِنَنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.

بقدرة الله تعالى ، والصِّنْجُ^(١) يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تتحققأً ل تمام العدل ، وتُطرح صحائف الحسنات ، في صورة حسنة في كفة النور ، فينقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتُطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة ، فيخفف بها الميزان بعدل الله .

وأن تؤمن^(٢) بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على

= وقال سبحانه :

﴿فَمَنْ نَقْلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^٨ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
يَظْلِمُونَ﴾ اهـ .

(١) هذه اللفظة مُعربة وليس بعربية .

(٢) أقول : الصراط : لغة : الطريق الواضح . وشرعًا : جسر ممدود على من من جهنم ، يرده الأولون والآخرون قال تعالى : ﴿وَإِنْ
مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ .

وفي حافتيه كلاليب تأخذ من أمرت به إلى النار .
وروي مرفوعاً :

يُضرب الصراطُ بينَ ظهاني جهنم ، فاكُونُ أنا وأمتى أول من يجوز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم .

وقت المرور عليه بعد الحساب فمن تعداد نجا .

متن جهنم، أحَدُ من السيف، وأدق من الشعر، تزل عنه
أقدام الكافرين، بحِكْمَةِ الله فتهوي بهم إلى النار، وتثبت
عليه أقدام المؤمنين فِي ساقون إلى دار القرار.

وأن تؤمن^(١) بالحوض المورود، حوض «محمد» بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ،
يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وبعد جواز الصراط،

أقول : =

فعلى قدر الاستقامة على صراط الشريعة في الدنيا، يكون الثبات
والنجاة على الصراط في الآخرة. اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل فيه
الأقدام. اهـ محمد.

(١) واختلف هل هو قبل الصراط أو بعده، أو هما حوضان أحدهما
قبله، والأخر بعده؟؟

وروى أحمد بإسناد حسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:
«حوضي كما بين عَذَنْ وعمان: أبْرَدُ من الثلوج، وأحلى من
العسل، وأطيب ريحًا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء،
من شرب منه لم يظُمَّ بعدها أبداً».
أول الناس وروداً صعاليك المهاجرين.

قال قائل: من هم يا رسول الله؟

قال: «الشَّعْثَةُ رُؤُسُهُمُ الشَّجَبَةُ وجوهُهُمُ الدَّنَسَةُ ثيابُهُمُ، لَا
تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدُّدُ، وَلَا يَنْكُحُونَ الْمُنْتَمَاتُ، الَّذِينَ يَعْطَوْنَ كُلَّ
الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ كُلَّ الذِّي لَهُمْ».
 قوله: «الشَّجَبَةُ وجوهُهُمُ» بفتح الشين المعجمة، وكسر الحاء =

منْ شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حوله أباريق عددها نجوم السماء، فيه ميزابان من الكوثر.

وأن تؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه، إلى مناقش في الحساب، وإلى متسامحٍ فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب، وهو المقربون، فيسأل من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، وسائل المبتدةعة عن السنة، ويسأله المسلمين عن الأعمال^(١).

= المهملة بعدها باه موحدة هو من الشحوب وهو تغير الوجه من جوع، أو هزال، أو تعب.

قوله: «لا تفتح لهم السدد» أي لا تفتح لهم الأبواب.

(١) عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لن تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يُسأل عن أربع خصال:

١ - عن عمره فيما أفناه.

٢ - وعن شبابه فيما أبلاه.

٣ - وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه.

٤ - وعن علمه ماذا عمل به؟». رواه البزار والطبراني.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها بإسناد صحيح واللفظ له أن النبي ﷺ قال:

وتؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام، حتى لا يبقى في جهنم منهم موحد بفضل الله تعالى.

وتؤمن بشفاعة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء، ثم سائر المؤمنين، كل حسب جاهه و منزلته عند الله تعالى، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله، فلا يخلد في النار مؤمن؟ بل يخرج منها كل من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(١).

= «من نقش الحساب عذب».

فقلت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ كُنْتَ بِهِ يَمْسِيْنِهِ﴾^٧ ﴿فَسَوْقَ يُحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا﴾^٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا.

قال: إنما ذلك القرض، وليس أحد يحاسب يوم القيمة إلا هلك. رواه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذى.

(١) عن عبدالله بن شقيق قال: جلست إلى قوم أنا رابعهم.

قال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر منبني تميم». قلنا: سوالك يا رسول الله؟.

قال: «سواءي».

قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟.

قال: نعم؛ فلما قام قلت:

من هذا؟

=

وأن نعتقد فضل الصحابة ورتبهم، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، وأن نحسن الظن بجميع الصحابة، ونشتري عليهم، كما أثني الله عليهم رسوله أجمعين، فكل ذلك مما وردت به الأخبار، وشهدت به الآثار، فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به، كان من أهل الحق، وعصابة السنة، وفارق^(١) رهط الضلال وحزب البدعة، فنسأل الله كمال

= قالوا: ابن الجدعاء، أو ابن أبي الجدعاء. رواه ابن حبان في صحيحه وابن ماجه.

إلا أنه قال: عن شقيق عن عبدالله بن أبي الجدعاء... .
 وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليسبني، مثل الحَيَّين: ربيعة،
ومُضر».

فقال رجل: يا رسول الله أَوْ ما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أَقُول
ما أَقُول». رواه أحمد بإسناد جيد.

(١) رهط الرجل: قومه وقبيلته. والرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. قال تعالى: ﴿وَكَاتَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةَ رَقَطِ﴾، وهو جمع لا واحد له من لفظه. اهـ مختار
الصالح.

اليقين، والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين، إنه أرحم الراحمين^(١).

(١) أقول: إن من الفتن الفادحة التي أصيب بها المسلمين: قدِيماً وحديثاً، تلطفُهم فيما جرى بين بعض الصحابة من خلاف، ثم التحذير لأحد الجانحين، والطعن في الجانب الآخر. وقد عَلِمْ عليه الصلاة والسلام، بإعلام الله له، ما سيحدث بعده من إخْن وفتن، ولذا حذر وأنذر وقال: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، أي وجوباً عن الطعن فيهم، والخوض بما شجر بينهم من الحروب الدامية؛ لأنهم خير الأمة بالإجماع، وخير القرون بالاتفاق. فهم كالünsجوم، بأي نجم اقتديت به، ولما جرى بينهم محامل. فال慈悲: يؤجر مرتين، والمخطيء أجره مرتة، لأن نيتهم صحيحة، وقصدُهم حسن، هو إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر الإسلام.

ولذا نحذر أبناءنا عن الخوض في مثل هذه الأمور بل نترضى عن الجميع، ونحمل في قلوبنا تعظيم الجميع ولكن فضل علي على معاوية، أمر لا يختلف فيه اثنان، ولا يتتطبع فيه عزان، وأن درجة علي ومنزلته الرفيعة متفق عليها، وأن القلوب تحمل من الحب المكتون لعلي ما لا تحمله لمعاوية، ومع ذلك كله، لا يحملنا كل هذا على الحط من قدر معاوية، والطعن في مقامه المنيف العالي، فكيف لا وقد استأنمه الرسول عليه الصلاة والسلام على كتابة الوحي في بعض الأحيان، وقد شهد =

«فصل» في التدريج إلى الإرشاد، وترتيب درجات الاعتقاد ما ذكرناه في ترجمة العقيدة، ينبغي أن يُعلم إلى الصبي في أول نشوءه، ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال يكتشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداره الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد، والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله على قلب الإنسان شرحه في أول نشوءه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف يُنكر ذلك وجميُّ عقائد العوام مبادئها اليقين المجرد، والتعليم الممحض، لكن الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال من الضعف في الابتداء، على أنه يقبل الإزالة بنقيضه ولو ألقى إليه، ولا بدّ من تقويته وإثباته في الصبي والعامي، حتى يتسرع ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته، أي بعلم صنعة الجدل والكلام؛ بل يشتعل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوحاً بما يقرع

له التاريخ بالفتحات الشاسعة، وإعلاء كلمة الله في أرجاء الأرض. فرضي الله عن الجميع ورزقنا حسن التوفيق.
انظر كتابنا صوت المنبر الجزء الثاني ص ١٨٠ ط ٣ فقد تعرضت لهذا البحث فهو موضوع مهم جداً ينبغي لكل مؤمن أن يفهمه ويفهمه غيره. اهـ محمد.

سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم، وسيماهم وهياتهم، في الخضوع لله والخوف منه، والاستكانة له، فيكون أول التقين كالقاء البذر في الصدور، وتكون هذه الأسباب كالسقى، والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى، ويرتفع شجرة طيبة راسخة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وبيني أن يحرس سمعه من الجدل، والكلام، غاية الحراسة، فإن ما يشوشه الجدل، أكثر مما يمهله، وما يفسده أكثر مما يصلحه؛ بل تقويته بالجدل هو: مثل ضرب الشجرة بالمدققة من الحديد رجاء تقويتها^(١).

ثم الصبي إذ وقع أول نشوء على هذه العقيدة، إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها؛ ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقائد، وأما البحث والتفتيش وتتكلف نظم الأدلة، فلم يكلفو ذلك أصلاً، وإن

(١) وسيأتي معنا في ص ١٦٨ الحديث عن أضرار المراء والجدل فترقه فإنه يفيدك في دينك ودنياك.

أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة، وساعدته التوفيق حتى يستغل بالعمل، ولازم للتفوي ونهى النفس عن الهوى، واستغله بالرياضة والمجاهدة، انفتح له أبواب من الهدایة، تكشف له عن حقائق هذه العقيدة، بنور إلهي يُقذف في قلبه، بسبب المجاهدة وتحقيق الوعود، إذ قال عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِي نَّهَمْ شُبَّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

والجوهر النفسي الذي هو غاية الصديقين والمقربين، وإليه الإشارة بالبشر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق، حيث فضل به الخلق.

وانكشاف تلك الأسرار له درجات، بحسب درجات المجاهدة، ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله، وفي الاستيضاء بنور اليقين، وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب، والفقه، وسائر العلوم، إذ يختلف باختلاف الاجتهاد، واختلاف الذكاء والفطنة، وكما لا تنحصر تلك الدرجات، فكذلك هذه، وقد آن أن نعود إلى ما كان بصدره من الكلام في بداية الهدایة وها نحن خائضون

(١) آخر سورة العنكبوت.

فيه، مستعينون بالله، متوكلون عليه، متبرؤون من الحول والقوّة إلّيـهـ.

فإن قلت: فـما بـدـاـيـةـ الـهـدـاـيـةـ لـأـجـرـبـ بـهـاـ نـفـسـيـ؟ـ.

فـاعـلـمـ أـنـ بـدـاـيـتـهاـ ظـاهـرـةـ التـقـوـىـ،ـ وـنـهـاـيـتـهاـ بـاطـنـةـ التـقـوـىـ،ـ فـلـاـ عـاقـبـةـ إـلـاـ بـالـتـقـوـىـ،ـ وـلـاـ هـدـاـيـةـ إـلـاـ لـلـمـتـقـينـ.ـ
وـالـتـقـوـىـ عـبـارـةـ عـنـ اـمـتـشـالـ أـوـامـرـ اللهـ تـعـالـىـ،ـ وـاجـتـنـابـ نـواـهـيـ.

فـهـمـاـ قـسـمـانـ:ـ وـهـاـ أـشـيـرـ عـلـيـكـ بـجـمـلـةـ مـخـصـرـةـ مـنـ ظـاهـرـ عـلـمـ التـقـوـىـ^(١)ـ فـيـ الـقـسـمـيـنـ جـمـيـعـاـ.

(١) وقد عرف التقوى سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه - بقوله: «هي الخوف من العجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ل يوم الرحيل ». وقد تعرضت لذكر فوائد التقوى في كتابي سمير المؤمنين ص ٢٧٢ ط. الثامنة.

القسم الأول في الطاعات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض، ونواول.
فالفرض: رأس المال، وهو أصل التجارة، وبه تحصل
النجاة.

والنفل: هو الربح، وبه الفوز في الدرجات.

قال ﷺ :

«يقول الله تبارك وتعالى: ما تقرب إلىَ المتقربون بمثل
أداء ما افترضتُ عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلىَ بالنواول
حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعة الذي يسمع به، وبصره
الذي يُبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يطشُّ
بها، ورجله التي يمشي بها»^(١).

(١) أخرجه البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛
وفيه بعض الاختصار.

ولن تصل أيها الطالبُ إلى القيام بأوامر الله تعالى ، إلا
بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك ، من حين
تصبح إلى حين تمسى .

فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ، ومشرف على
ظاهرك وباطنك ، وحيط بجميع لحظاتك وخطراتك
وخطواتك ، وسائل سكناتك وحركاتك .

وإنك في مخالطتك وخلواتك متعدد بين يديه ، فلا
يسكن في الملك والملائكة ساكن ، ولا يتحرك متحرك ،
إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه : ﴿يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١) ، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢) .

فتأنبأ أيها المسكين : ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالى ، تأنب العبد الذليل المذنب ، في حضرة الملك الجبار القهار .

واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

(١) من سورة غافر ، آية : ١٩ .

(٢) من سورة طه ، آية : ٧ .

ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك، وترتب
أورادك من صباحك إلى مسائلك.

فاصفح إلى ما يُلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك،
من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى
مضجعك.

* * *

آدَابٌ : الْاسْتِيقَاظُ مِنَ النَّوْمِ

فإذا استيقظتَ من النوم ، فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع
الفجر ! .

وليكن أولَ ما يجري على قلبك ولسانك ذكرُ الله
تعالى .

فقل عند ذلك : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا
وإليه النشور .

أصبحنا وأصبح الملكُ لله ، والعظمة والسلطانُ لله ،
والعزَّة والقدرة لله رب العالمين .

أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص ،

وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً
مسلمًا وما كان من المشركين .

اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير،
وأعوذ بك أن أجترح^(١) فيه سوءاً، أو أجرأه إلى مسلم .

اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك
نموت، وإليك النشور .

نسألك خير هذا اليوم، وخير ما فيه، ونعوذ بك من شر
هذا اليوم، وشر ما فيه .

فإذا لبست ثيابك فانو به امثال أوامر الله تعالى في ستر
عورتك .

واحذر أن يكون قصدك من لباسك مُراءة الخلق
فتخسر ! .

* * *

(١) جرح اكتسب، وبابه قطع، واجترح مثله . قال الله تعالى : «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
أَمَنُوا». ﴿٤٨﴾

آدَابُ دُخُولِ الْخَلَاء

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة، فقدم في الدخول رجلك اليسرى، وفي الخروج رجلك اليمنى.

ولا تستصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى ورسوله.
ولا تدخل حاسراً الرأس، ولا حافي القدمين.

وقل عند الدخول: باسم الله أعود بالله من الرجس
النجس، **الخبيث المُخْبِث**، الشيطان الرجيم^(١).

(١) **الخبيث**: ذو **الخُبُث** في نفسه. والمخبيث: الذي أعنجه خباء.

وقيل: هو الذي يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه.
ومنه حديث قتلى بدر: فألقوا في قليب خبيث مُخْبِث، أي فاسد
مُفسد.

وفيه: إذا كثر **الخُبُث** كان كذا وكذا أراد الفجور والفسق.

وفي رواية:

أعوذ بك من **الخُبُث والخائث**: بضم الباء جمع الخبيث.

والخائث: جمع الخيبة، يريد ذكر الشياطين وإناثهم.

وقيل: هو الخبث بسكون الباء.

وهو خلاف طيب الفعل من فجور وغيره. والخائث: يريد بها
الأفعال المذمومة والخصال الرديئة. اهـ النهاية لابن الأثير.

وعند الخروج: غفرانك الحمد لله الذي أذهب عنِي ما يؤذيني وأبقى علىَّ ما ينفعني^(١).

وينبغي أن تُعَدُّ النُّبُل^(٢) قبلَ قضاء الحاجة، وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة.

وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والثر ثلاثة، وبإمرار اليد اليسرى على أسفل القضيب^(٣).

أقول =

لأن الشارع عليه الصلاة والسلام، كان إذا أراد الدخول إلى الخلاء يقول هذه الكلمات.

أخرجه الطبراني في الدعاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

(١) وكذلك عند الخروج من الخلاء كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول هذه الكلمات. رواه النسائي، وابن ماجه.

(٢) النُّبُل: حجارة الاستنجاء. وفي الحديث: «اتقوا الملاعن وأعدوا النُّبُل» والمحدثون يقولون: النُّبُل بالفتح. اهـ مختار الصحاح.

(٣) واحد المبالغة في ذلك كما يقع من بعض الموسوين؛ فإنه ليس من الدين؛ بل الورع يكون في الدرهم والدينار، وصون الجوارح عن الحرام، ولما في ذلك من الأضرار الحسية والمعنوية والأخلاقية. اهـ محمد.

وإن كنت في الصحراء فابعد عن عيون الناظرين^(١)،
واستتر بشيء إن وجدته!

ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع
الجلوس^(٢).

ولا تستقبل القبلة ولا الشمس ولا القمر، ولا
تستدبرهما.

ولا تجلس في متحدى الناس، ولا تبل في الماء
الراكد وتحت الشجرة المثمرة، ولا في الجُحر^(٣).

واحذر الأرض الصلبة، ومهب الربيع؛ احترازاً من
الرشاش لقوله عليه السلام:

«إِنَّ عَامَةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ»^(٤).

(١) كي لا يظهر صوت، ولا يُشم ريح.

(٢) لأن الحباء من مكارم الأخلاق، فإنه ما كان في شيء إلا زانه،
وهو من الإيمان.

(٣) الجُحر: القلب من الأرض؛ لأنه إن كان فيه حيوان صغير آذنه
أو كبير آذاك.

(٤) أخرجه الدارقطني عن أنس رضي الله تعالى عنه برواية: «تنزهوا
من البول، فإن عامدة عذاب القبر من البول».

واتكىء في جلوسك على الرجل اليسرى^(١).

ولا تبل قائماً^(٢) إلا عن ضرورة، واجمع في الاستئفاء
بين استعمال الحجر والماء، فإذا أردت الاقتصار على
أحدهما فالماء أفضل.

(١) وقد سالت أحد إخواننا الأطباء عن المراحيض المستحدثة الجدد
من الناحية الطبية؟

فأجابني بأن الكف العربية القديمة، هي أصح للبدن، إلا من
كان معه أمراض لا يمكن من الجلوس مستوفراً على ركبتيه وهو
نادر، وإنما فالعرب أقرب للسنة، وأحفظ للصحة، وأسهل لتبسيير
خروج الخارج، ولكن أقول لها صريحة: إن العالم الإسلامي
بفضله وقضيه - إلا من رحم ربك - قد أصيب بمرض تقليد غير
المسلمين واستحسان عاداتهم، حتى لو دخلوا جحر ضب
دخلناه، أو أتى أحدهم به على قارعة الطريق لأنيناها فلا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثبتني الله وأحبابي على طريق
الحق والصواب، والهدى والرشاد. اهـ محمد.

(٢) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «من حدثكم أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبول قائماً فلا تصدقونه». أخرجه الترمذى، والنسائى، وابن
ماجھ. قال الترمذى: هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح.
أقول: وقد ثبت بالحديث المتفق عليه بأنه بالقائم تبييناً
للجواز، كما أنه شرب قائماً أيضاً. اهـ محمد.

وإن اقتصرت على الحجر، فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار ظاهرة مُنشفة للعين تمسح بها محل النجو، بحيث لا تنتقل النجاسة من موضعها.

وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر، فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة، فتمم خمسة أو سبعة إلى أن ينفني بالإيتار.

فإليتار: مستحب، والإنقاء: واجب.
ولا تستنج إلا باليد اليسرى، وقل عند الفراغ من الاستنجاء:

«اللهم طهر قلبي من النفاق، وحصن فرجي من الفواحش». وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بحائط، ثم أغسلها^(١).

* * *

(١) أقول: بهذه وحدة من وحدات الإسلام، وتعليم من تعاليم الشريعة، فانظر كم فيها من أحكام وجكم، وفوائد تعود على الإنسان، حتى إن اليهود عليهم اللعنة، لحظوا هذا، ولم يتمالكوا الكتمان قائلين: إن محمداً لم يترك شيئاً إلا وبينه حتى الخراءة!

فصلوات الله وسلامه عليك يا سيد يا رسول الله! يا معلم الناس الخير، فجزاك الله عن الأمة خيراً! اهـ محمد.

آدَابُ الْوَضُوءِ

فإذا فرغت من الاستنجاء. فلا ترك السواك؛ فإنه:
«مَظْهَرٌ لِّلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِّلرَّبِّ، وَمَسْخَطَةٌ لِّلشَّيْطَانِ»^(١).
و «صلوة بسواك أفضل من سبعين صلاةً بلا سواك»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ :
«لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أَمْتَي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاقِ مَعَ كُلِّ
صَلَاةٍ»^(٣).

وعنه ﷺ :
«أُمِرْتُ بِالسَّوَاقِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»^(٤).

(١) أخرجه النسائي، وابن ماجه في صحيحهما، والطبراني في الأوسط والكبير، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) رواه الإمام أحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن خزيمة في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، والطبراني عن وائلة بن الأسعف رضي الله تعالى عنه.

ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع
كي لا يُصيّبك الرشاش^(١).

* * *

أَدْعِيَةُ الْوَضُوءِ

وقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب أعود بك من
همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرؤن^(٢).

ثم أغسل يديك ثلاثة قبل أن تدخلهما الإناء وقل :

(١) أقول : كان هذا في الزمن السابق ، أما الآن فقد نظمت
المطاهر ، وأماكن الوضوء تنظيماً جيداً ، لا يحتاج الناس في
الغالب إلى ما ذكره المؤلف . اهـ محمد.

(٢) روى أبو داود وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن
سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله
عليه» .

أقول : لا وضوء أي كاملاً ، وإلا ذكر الله تعالى في مثل هذه
المناسبات - ولو كان عظيماً - لم يخرج عن كونه سنة ، يؤجر
على فعلها ، ولا يؤاخذ على تركها . اهـ محمد.

اللهم إني أسألك اليُمْنَ والبَرَكَةَ، وأعوذ بك من الشَّؤْمِ
والهَلْكَةِ^(١)، ثم انور فع الحدث أو استباحة الصلاة.

ولا ينبغي أن تعزُّب نيتُك قبل غسل الوجه، فلا يصح
وضوئك، ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثة، وبالغ
في رد الماء إلى الغلصمة^(٢) إلا أن تكون صائماً فترفق^(٣)،

(١) روى أبو يعلى، والدارقطني، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «من توضأ ففسل يديه، ثم مضمض ثلاثة، واستنشق ثلاثة، وغسل وجهه ثلاثة، ويديه إلى المرفقين ثلاثة، ومسح رأسه، ثم غسل رجليه، ثم لم يتكلم حتى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، غفر له ما بين الوضوءين».

(٢) الغلصمة: هي رأس الحلق، وهو الموضع الناتئ في الحلق.
اـهـ مختار الصحاح.

(٣) لأنـ يكرهـ فيـ حقـ الصـائمـ المـبالغـةـ فيـ المـضمـضةـ وـالـاستـنشـاقـ
فيـ الـوضـوءـ وـالـغـسلـ، خـوفـاـ منـ سـبقـ المـاءـ إـلـىـ جـوـفـهـ . . .
فـإـنـ بـالـغـ وـسـبـقـهـ المـاءـ، فـقـدـ أـفـطـرـ، وـوـجـبـ عـلـيـهـ القـضـاءـ لـتـعـدـيـهـ،
وـإـلـاـ فـصـوـمـهـ صـحـيـحـ وـلـاـ يـجـبـ عـلـيـهـ شـيـءـ، لـأـنـهـ فـيـ ضـمـنـ
المـطلـوبـ مـنـ السـنـةـ .

وـإـذـاـ جـاـوـزـ الـمـتـوـضـيـ العـدـدـ الـمـسـنـونـ، وـسـبـقـهـ المـاءـ، فـإـنـهـ يـفـطرـ
أـيـضـاـ .

=

وقل: اللهم أعني على تلاوة كتابك، وكثرة الذكر لك،
ووثبني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثم خذ غرفة لأنفك، واستنشق بها ثلاثة، واستشر ما في
الأنف من الرطوبة، وقل في الاستنشاق: اللهم أرحني
رائحة الجنة وأنت عنِي راضٍ؛ وفي الاستئثار: اللهم إني
أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار.

ثم خذ غرفة لوجهك، فاغسل بها من مبتداً تستطيع
الجبهة إلى منتهى ما يُقبل من الذقن في الطول، ومن الأذن
إلى الأذن في العرض.

وأوصل الماء إلى موضع التحذيف^(١)، وهو ما يعتاد
النساء تنحية الشعر عنه، وهو ما بين رأس الأذن إلى زاوية
الجبين، أعني ما يقع منه في جبهة الوجه، وأوصل الماء

= فالمبالغة والمجاوزة كل منهما فيه خطر على صحة الصوم فتنبه
هذا ونبه غيرك؛ فإنه دقيق ولا سيما في النساء حال الاستنجاء.
اهـ محمد.

(١) وفي المخطوط «التحفيف». حَذْفُ الشِّيْ: إسْقاطه. وحَذْفُ
بالعصا: رمَاهُ بِهَا؛ وحَذْفُ رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ: إِذَا ضَرَبَهُ فَقُطِعَ مِنْهُ
قطعة. اهـ مختار الصحاح.

إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبين، والشاربين، والأهداب، والعذارين؛ وهما ما يوازي الأذنين من مبتدأ اللحية.

ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة^(١) دون الكثافة وقل عند غسل الوجه:

اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبیضُ وجوه أوليائك، ولا
تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك.
ولا ترك تخليل اللحية الكثيفة.

ثم أغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المعرفقين إلى أنصاف العضدين؛ فإن الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء^(٢).

(١) أقول: الخفيفة: هي ما يرى المخاطب بشرتها؛ والكثيفة: هي ما لا يرى المخاطب بشرتها. وحكم العنفة: حكم اللحية في الكثافة والخفة. ثم يفعل ذلك ثلاثة، ويغسل الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية، ويدخل الأصابع في محاجر العينين، وموضع الرمص، ومجتمع الكحل وينقيهما. اهـ محمد.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أمتي يدعون يوم القيمة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل». رواه البخاري ومسلم. =

وقل عند غسل اليمني: اللهم أعطني كتابي بيمني،
وحاسبني حساباً يسيراً.

وعند غسل الشمال: اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني
كتابي بشمالي أو من وراء ظهري.

ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تَبْلَ يديك وتُلْصق

= الغُر: جمع الأغر، من الغرة، وهي بياض الوجه.
يريد عليه الصلاة والسلام، بياض وجوههم بنور الموضوع يوم
القيمة.

وأصل الغرة: البياض في وجه الفرس.

ولمسلم من روایة أبي حازم. قال: كنت خلف أبي هريرة وهو
يتوضأ للصلوة. فكان يمد يده، حتى يبلغ إبطه.

فقلت له: يا أبي هريرة ما هذا الموضوع؟

فقال: يا بني فروخ أنتم هاهنا؟ لو علمتُ أنكم هاهنا ما تو皿ات
هذا الموضوع.

سمعت خليلي رسول الله ﷺ يقول: «تبلغ الحليّة من المؤمن
حيث يبلغ الموضوع».

وفي روایة:

قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف مَنْ لم تر من أمتك؟

قال: غير محجلون بلّ من آثار الموضوع. اهـ انظر الترغيب
والترهيب.

رؤوس أصابع يديك اليمنى باليسرى، وتضعهما على مقدمة الرأس، وتمرّهما إلى القفا، ثم تردهما إلى المقدمة.

فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات، وكذلك في سائر الأعضاء، وقل:

اللهم عَشْنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزُلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأَظْلِنِي
تحت ظل عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك: اللهم حَرَمْ شعرِي
وَبَشِّرِي عَلَى النَّارِ، ثُمَّ تَمْسِحْ أَذْنِيكَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا بِمَاء
جَدِيدٍ.

ثم أدخل مُسْبِحَتِيكَ فِي صِمَانِيِّ أَذْنِيكَ وَامْسِحْ ظَاهِرِ
أَذْنِيكَ بِيَطْنِ إِبْهَامِيكَ، وقل:

اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه، اللهم أسمعني منادي الجنة في الجنة مع الأبرار.

ثم امسح رقبتك وقل: اللهم فُكْ رقبتي من النار، وأعود
بك من السلسل والأغلال.

ثم أغسل رجلك اليمنى، ثم اليسرى مع الكعبين^(١)،

(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه رأى قوماً يتوضؤون من الطهارة - الإناء الذي يُنْتَهِرُ به - فقال: أسبغوا الوضوء! فإني سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم قال:

وتخلل بخنصر اليسرى أصابع رجلك مبتدئاً بخنصر اليمنى حتى تختتم بخنصر اليسرى، وتدخل الأصابع من أسفل^(١)، وقل:

اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين.

وكذلك تقول عند غسل اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن ترث قدمي على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين.

وارفع الماء إلى أنصاف الساقين، وراع التكرار ثلاثة في جميع أفعالك؛ فإذا فرغت من الوضوء، فارفع بصرك إلى السماء وقل:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

= «ويل للأعذاب من النار، أو ويل للعراقب من النار». رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه.

والعراقب: جمع عرقوب: العصبة التي فوق العقب.

(١) روى الطبراني في الكبير، عن وائلة رضي الله تعالى عنه، عن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة».

محمدًا عبده ورسوله^(١)، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي، أستغفرك وأتوب إليك، فاغفر لي وتب علىي، إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين،
واجعلني من عبادك الصالحين، واجعلني صبوراً شكوراً،
واجعلني أذكرك ذكرًا كثيراً، وأسبحك بكرة وأصيلاً.

فمن قال هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطایاه من
جميع أعضائه، ونُختم على وضوئه بخاتم، ورفع له تحت
العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه، ويُكتب له ثواب ذلك
الوضوء إلى يوم القيمة^(٢).

* * *

(١) روى الإمام مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما منكم من أحد يتوضأ فليُبلغ، أو فيسبغ - مما يعني واحد أي يتنه ويكمله - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

(٢) أقول: أدعية الوضوء لم ترد من طريق صحيح، لكن يُعمل بها في فضائل الأعمال. اهـ محمد.

مَا يَطْلُبُ اجْتِنَابُهُ فِي الْوَضْوَءِ

واجتنب في وضوئك سبعاً:

- ١ - لا تنفس يديك فترش الماء^(١).
- ٢ - ولا تلطم رأسك ووجهك بالماء لطماً.
- ٣ - ولا تتكلم في أثناء الوضوء.
- ٤ - ولا تزد في الغسل على ثلات مرات.
- ٥ - ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة،
فللמוסوئين شيطان يلعب بهم يقال له: الولهان^(٢).

- ٦ - ولا تتوضأ بالماء المشمس.
- ٧ - ولا في الأواني الصُّفرية^(٣).
فهذه السبعة مكرروحة في الوضوء.

(١) أقول: لما في الرش من التبرى من العبادة، فهو أدب من أداب الوضوء. اهـ محمد.

(٢) فالرسول عليه الصلاة والسلام: توضأ بمد، واغسل بصاع، فain أنت منه؟ فانتبه واحذر الإسراف. ولا سيماء من الماء الموقف. اهـ محمد.

(٣) بل من الخزفية والجلدية، أو الخشبية، لما قد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهمَا من كراهيَة إماء الصفر؛ والمراد منها الأواني القابلة للانطباع من المعادن اهـ محمد.

وفي الخبر: إن من ذكر الله عند وضوئه، طَهَرَ الله جسده كلَّه، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إِلَّا مَا أصابه الماء^(١).

* * *

آدَابُ الْغُسْل

فإِذَا أصابتك جنابة من احتلام أو وقوع، فاحمل الإناء إلى المغسل^(٢)، واغسل يديك أولاً ثلثاً، وأزل ما على بدنك من قدر، وتوضأ كما سبق وضوءك للصلوة مع جميع الدعوات^(٣)، وأخْرِ غسل رجليك كي لا يضيع الماء، فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلثاً، وأنت ناوٍ رفع الحدث من الجنابة.

(١) رواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ورواه عبد الرزاق عن الحسن الكوفي. أقول: وقد تقدم معنا في ص ٥٥ حكم الذكر. اهـ.

(٢) وضعه عن يمينك إن كنت تعرف منه، وعن يسارك إن كنت تصب منه، كما ذكره وشرحه الفقهاء في هذا الباب.

(٣) هذا إن كان مستور العورة وإلا فليذكر الله تعالى في قلبه.

ثم على شقك الأيمن ثلثاً، ثم على الأيسر ثلثاً،
وادلك ما أقبل من يديك وما أدبر، وخليل شعر رأسك
ولحيتك.

وأوصل الماء إلى معاطف البدن، ومنابت الشعر، ما
خفٌ منها وما كُفٌ.

واحذر أن تمس ذرك بعد الوضوء، فإن أصابته يدك
فأعد الوضوء^(١).

والفرضية من جملة ذاك كلّه^(٢):

١ - النية.

٢ - وإزالة النجاسة.

٣ - واستيعاب البدن بالغسل.

ومن الوضوء: غسل الوجه واليدين مع المرفقين، ومسح

(١) إن كان المس يباطن الكف؛ وإنما فلا نقض، يعني إن كان في الأطراف أو ظهر الكف. اهـ محمد.

(٢) أي المذكور من الأفعال المطلوبة في الغسل: سواءً كان وجهاً أو مندوبياً ثلاثة أشياء:

النية، وإزالة النجاسة إن كانت على بدنها، وإصفال الماء إلى جميع الشعر والبشرة. اهـ محمد.

بعض الرأس، وغسل الرجلين مع الكعبين مرةً مرتَّةً مع النية، والترتيب.

وما عدتها^(١): سنت مؤكدة، فضلُها كثير، وثوابها جزيل، والمتهاون بها خاسر؛ بل هو بأصل فرائضه مخاطر؛ فإن التوافل جوابٌ للفرائض^(٢).

(١) أي من الأغسال سنة؛ كغسل العيدين، وال الجمعة، والإحرام، والوقوف بعرفة، ومزدلفة، ولدخول مكة، ولطواف الوداع، والكافر إذا أسلم، والمجنون إذا أفاق إن لم يطأ عليهم جناة، وإنما وجب الغسل عليهما. اهـ محمد.

(٢) أقول:

إن من فضل الله علينا - معاشر المسلمين - أن رغبنا بالتوافل رحمة بنا؛ فإن أمثالنا لا يستطيع أن يقوم بالعبادة على الوجه الأكمل، فجعل هذه التوافل في جميع العبادات على اختلاف أنواعها، وتبادر أفعالها جوابٌ للفرائض؛ فإذا وقع نقص في الفرض، فالنفل يجبره لا من حيث العدد بل من حيث الكمال، وأما في الآخرة: فإن مات شخص وعليه فرض من الفرائض: من صلاة وزكاة، يقوم كل سبعين ركعة من التوافل، مقام ركعة من الفرائض.

وكذلك يقوم كل سبعين درهماً من الصدقات مقام درهم من الزكاة.

أما في الدنيا فلا يجبر الفرائض شيء؛ بل لا بد من فعلها. اهـ محمد.

آدَابُ التَّيْمِمٍ^(١)

فإن عجزت عن استعمال الماء لفقدة بعد الطلب، أو لعذر من مرض، أو لمانع من الوصول إليه من سُبُّ أو

(١) هو لغة:

القصد، يقال: تيممت فلاناً، ويممته، وتأممته، وأتممه، أي قصده. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمِمُوا الْخِيَثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾. وشرعًا:

- إيصال التراب إلى الوجه واليدين بشرائط مخصوصة.
وشرائطه خمسة أشياء:
١ - وجود العذر بسبب مرض أو سفر.
٢ - دخول وقت الصلاة.

- ٣ - طلب الماء بعد دخول وقت الصلاة.
٤ - تعذر استعماله، حسأً، أو شرعاً.

- ٥ - إعوازه بعد الطلب له، أو لحيوان محترم.
وفرائضه أربعة:

- ١ - نقل التراب إلى العضو الممسوح.
٢ - نية استباحة الصلاة أو نحوها.

- ٣ - مسح الوجه.
٤ - مسح اليدين إلى المرفقين.

- وستنه ثلاثة:
١ - التسمية.

=

حبس، أو كان الماء لحاجة تحتاج إليه لعطشك أو عطش رفيقك، أو كان ملكاً لغيرك ولم يُبع إلا بأكثر من ثمن المثل، أو كانت بك جراحةً أو مرض تخاف منه على نفسك، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة، ثم اقصد صعيداً طيباً، عليه تراب خالص طاهر لين، فاضرب عليه بكفيك، ضاماً بين أصابعك، وانو استباحة فرض الصلاة، وامسح بهما وجهك مرة واحدة، ولا تتكلف بإيصال الغبار إلى منابت الشعر حفَّ أو كثف، ثم انزع خاتمك واضرب ضربة ثانية مفرقاً بين أصابعك، وامسح بهما يديك مع مرافقك، فإن لم تستوعبهما، فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح بين أصابعك بالتلليل.

وصلَّ به فرضاً واحداً، وما شئت من التوافل.
فإن أردت فرضاً ثانياً، فاستأنف له تيمماً آخر^(١).

= ٢ - تقديم اليمنى على اليسرى .
= ٣ - الموالاة .

(١) أقول: هذا مذهب السادة الشافعية فقد أوجبوا لكل صلاة فريضة تيمماً واحداً؛ لأنهم اعتبروا التيمم طهارة ضعيفة لا ينهض بواجبين وهو مذهب المؤلف رحمه الله .
وأجاز السادة الحنفية التيمم الواحد لعدة فرائض. اهـ محمد.

آدَابُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ^(١)

فإِذَا فرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ، فَصُلِّ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتِي الْفَجْرِ،
إِنْ كَانَ الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ، كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ تَوَجَّهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلَا تَدْعُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ لَا سِيمَا
الصَّبَحِ^(٢).

(١) قال صاحب العهود المحمدية : ٦٢ / ١

أَخْذَ عَلَيْنَا الْعَهْدُ الْعَامُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نَمْشِيَ إِلَى
الْمَسَاجِدِ فِي الصلواتِ الْخَمْسِ وَغَيْرِهَا، لَتَصْلِي فِيهَا لَا سِيمَا
فِي الْعَشَاءِ وَالصَّبَحِ، فِي الْلَّيَالِي الَّتِي لَا قَمَرٌ فِيهَا فِي وَقْتٍ مُشَبِّهٍ
إِلَيْهَا.

وَلَا نَذْهَبُ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِنُورٍ إِلَّا لِضَرُورَةِ شُرُوعِهِ، وَذَلِكَ لِكُثْرَةِ
فَضْلِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى الصَّرَاطِ، وَغَيْرِهِ فِي نُورِ أَعْمَالِهِمْ.

وَاعْلَمُ بِاَخِي أَنَّ الشَّارِعَ ﷺ قَدْ جَعَلَ خَفَةَ مَشِيِ الْعَبْدِ إِلَى
الْمَسَاجِدِ، عَلَامَةً عَلَى صَحَّةِ إِيمَانِهِ وَكَمَالِهِ، وَجَعَلَ ثَقْلَ المَشِي
إِلَيْهِ، عَلَامَةً عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ، وَنَقْصِهِ وَنَفَاقِهِ.

وَقَدْ بَسَطَ الْبَحْثُ بِسْطًا وَاسِعًا فِي جَزَاءِ اللَّهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ : تَضَعُفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي =

فصلة الجمعة تفضل على صلاة المتنفرد بسبع وعشرين
درجة .

فإن كنت تتساهل في مثل هذا الربح فـأي فائدة لك في
طلب العلم؟ وإنما ثمرة العلم العمل به .

فإذا مشيت إلى المسجد فامش على الهيئة والسكينة ولا
تَعْجَل^(١) .

وقل في طريقك: اللهم بحق السائلين عليك، وبحق

= سوقه خمساً وعشرين ضعفاً: وذلك إذا ترضاً، فأحسن الوضوء،
ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا
رُفعت له درجة، وخطوه عنه بها خطيبة، فإذا صلي، لم تزل
الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحدث:
سائلين :

اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما
انتظر الصلاة». رواه الخمسة .

ولقد بسطت هذا الموضوع بسطاً مفيداً في كتابي «سمير
المؤمنين» الطبعة السادسة ص ١٨٧ فعد إليه تجد ما يسرك.

(١) فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن
النبي ﷺ أنه قال: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها وأنتم
تسعون، واتنوها وأنتم تمثون وعليكم السكينة، فما أدركتم
فصلوا، وما فاتكم فاتموا». اهـ .

الراغبين إليك، وبحق مشايَّ هذا إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أُخْرِجْ أَشْرَا
وَلَا بَطْرَاً، وَلَا رِياءً، وَلَا سَمْعَةً، بَلْ خَرَجْتُ اتِّقَاءً سَخْطَكَ،
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرْ لِي
ذُنُوبِيَّ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ^(١).

* * *

آدَابُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ^(٢)

فَإِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُدِّمْ رَجُلُكَ الْيَمْنِيُّ،
وَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلُّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَاحْبِهِ
وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِيَّ، وَافْتُحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ.

(١) رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، بسنده حسن.

(٢) قال صاحب العهود المحمدية ٦٤ / ١ :

أَجَدْ عَلَيْنَا الْعَهْدُ الْعَامُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطْيلِ الْجَلْوْسَ فِي
الْمَسْجِدِ، وَتُنْخَفِفَ الْجَلْوْسَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا شُرُوطٌ:
فَشُرُوطُ الْجَالِسِ فِي الْمَسْجِدِ، أَنْ تَكُونَ حُرْكَاتُهُ، وَسَكَنَاهُ،
وَخُواطِرُهُ، كُلُّهَا مَحْمُودَةٌ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، فَمِنَ الْأَدْبِ
تَخْفِيفُ الْجَلْوْسِ، لِأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ، فَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ
يَدِيِ اللَّهِ تَعَالَى، شَعْرًا أَوْ لَمْ يَشْعُرْ، وَمَنْ لَمْ يَجَالِسْ الْمُلُوكَ
بِالْأَدْبِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطْبِ!

ومهما رأيت في المسجد مَنْ يبيع، فقل: لا أربح الله
تجارتك!

وإذا رأيت فيه من ينشد ضالَّةً، فقل: لا ردَ الله عليك
ضالتك؛ كذلك أمر رسول الله ﷺ.

فإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية، فإن لم تكن على طهارة، أو لم تُرد فعلها كفتك «الباقيات الصالحات» ثلاثة، وقيل: أربعاً، وقيل: ثلاثة للمُحدث، وواحدة للمتوضىء، فإن لم تكن صلิต ركعتي الفجر، فيجزيك أداؤهما عن التحية، فإذا فرغت من

= وهذا الأمر قد غالب على غالبية الناس المقيمين في المسجد من المجاورين، والجالسين فيه، ومن المتردد़ين. فيجلسون ويجرون قوافي الناس: من العلماء، والصالحين، والولاة ويذكرونهم بالمناقص في حضرة الله تعالى. فمثل هؤلاء كالبهائم؛ بل البهائم أحسن حالاً منهم. ومن هنا كان شيخي علي الخواص - رحمه الله تعالى - لا يدخل المسجد إلا عند قول المؤذن: حي على الصلاة، فحيثذا يأتي المسجد، فقيل له: ألا تأتي المسجد مرة قبل الوقت؟؟ فقال: مثُلنا لا يصلح لإطالة الجلوس في حضرة الله تعالى، فنخاف أن نأتي لزريح فنخسر! فينبغي لكل مؤمن مراعاة الأدب في المسجد فإنه بيت الله الخاص. اهـ باختصار. وفي البحث كلام نفيس.

الركعتين، فانو الاعتكاف^(١) وادع بما دعا به رسول الله ﷺ
بعد ركعتي الفجر فقل:

«اللهم إني أسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلبي،
وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها الفتى^(٢)
وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائي، وترفع بها شاهدي،

(١) بإن تقول: نوبت الاعتكاف في هذا المسجد ما دمت فيه، وإن أردت أن تتدبره - بإن تقول: الله على أن اعتكف في هذا المسجد ما دمت فيه، نوبت الاعتكاف المتذور - فهو أفضل.
والاعتكاف: هو اللبث في المسجد بنية الاعتكاف، لأنه سنة مؤكدة كل وقت.

فقد روي: «أنه من اعتكف فوق ناقٍ فكانما اعتق نسمة». والفوق بضم الفاء أي مقدار زمن حلب الناقة، والمراد بالنسمة: الرقيق.

وقد روى مسلم مرفوعاً:
«أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغضها إلى الله أسوافها».

وروى الشیخان وغيرهما مرفوعاً: «يقول الله عز وجل: سبعة يظلمهم الله في ظله» فذكر منهم: «ورجل تعلق قلبه بالمساجد». وروى الترمذی واللفظ له وقال: حديث حسن: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان».

(٢) بضم الهمزة، وقد تكسر أي مألوفي وهو ما كنت آلفه.

وتزكي بها عملي^(١) وتُبَيِّضُ بها وجهي، وتلهمني بها رشدي،
وتقضي لي بها حاجتي وتعصمني بها من كل سوء^(٢).
اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا خالصاً يباشر قلبي، وأَسْأَلُكَ
يقيناً صادقاً حتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ،
وَالرَّضَا بِمَا قَسَمْتَ لِي.

اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا صادقاً، ويقيناً لِيَسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ،
وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَا لَبَّا شَرْفَ كِرامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عَنِ الْقَضَاءِ، وَالْفَوْزَ عَنِ
اللِّقَاءِ^(٣)، وَمَنَازِلِ الشَّهَادَةِ، وَعيْشِ السُّعَادَةِ، وَالنَّصْرِ عَلَى
الأَعْدَاءِ، وَمَرْافِقَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

اللهم إِنِّي أَنْزَلْتُكَ حاجتي وَإِنْ ضَعْفَ رَأْيِي، وَقُصْرِ
عَمْلِي، وَافتَّرَتُ إِلَى رَحْمَتِكَ؛ فَأَسْأَلُكَ يَا قاضِي الْأُمُورِ،
وَيَا شَافِي الصَّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبَحُورِ^(٤) أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ
عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ فَتْنَةِ الْقُبُورِ، وَمِنْ دُعْوَةِ الثُّبُورِ.

(١) أي تزيد ثوابه، أو تظهره من الرياء والسمعة والعجب.

(٢) أخرجه الترمذى.

(٣) أي لقاء الأعداء أو لقاء الله بالموت، ثمبعث.

(٤) أي تمنع أحدهما من الاختلاط بالأخر مع الاتصال، قال تعالى:

اللهم وما ضعف عن رأيي، وقصر عنه عملي، ولم
بلغه نبتي وأمنيتي، من خير وعدته أحداً من عبادك، أو خيرٍ
أنت معطيه أحداً من خلقك، فإني أرحب إليك فيه، وأسألك
إيه يا رب العالمين!

اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين،
حرباً لأعدائك، سلماً لأوليائك، نحب بحبك الناس،
ونعاديك بعداوك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء،
وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان، وإنما الله وإنما إليه
راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمان
يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهد،
الركع السجود، والموفين لك بالعهود، إنك رحيم ودود،
وأنت تفعل ما تريده^(١)، سبحان منْ اتصف بالعزّ وقال به،
سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان منْ لا ينفي

= «مَرَحَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَيَانِ (١٩) بِنِهِمَا بَرَزَ لَا يَتَغَيَّبُانِ». من سورة
الرحمن، آية: ٢٠ - ٢١.

(١) رواه الترمذى ومحمد بن نصر في الصلاة والطبراني والبيهقي في
الدعوات عن ابن عباس رضي الله عنهم.

التسبيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعْمَ، سُبْحَانَ ذِي الْقَدْرَةِ وَالْكَرْمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصْرِي، وَنُورًا فِي شِعْرِي، وَنُورًا فِي بَشَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عَظَامِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيِّي، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شَمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي.

اللَّهُمَّ زَدْنِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَأَعْظُمْ لِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

* * *

آدَابُ مَا بَعْدَ الدُّعَاء

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ،
أَوْ بِذِكْرِ، أَوْ تَسْبِيحِ، أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد في مسنده.

فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه،
واشتغل بجواب المؤذن.

فإذا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، فقل مثل ذلك،
وكذلك في كل كلمة، إلا في الحِيَّلتين فقل فيما: لا
حول ولا قوَةَ إِلا بالله العلي العظيم، فإذا قال: الصلاة خير
من النوم، فقل: صدقت وبررت وأنا على ذلك من
الشاهدين.

فإذا سمعت الإِقامة فقل مثل ما يقول إلا في قوله: قد
قامت الصلاة فقل:

أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض.
فإذا فرغت من جواب المؤذن فقل:
«اللهم إني أسألك عند حضور صلاتك، وأصوات
دعاتك، وإدبار ليلك، وإقبال نهارك أن تؤتي محمداً
الوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام
المحمود الذي وعدته يا أرحم الراحمين»^(١).

فإذا سمعت الأذان وأنت في الصلاة فتمم الصلاة، ثم
تدارك الجواب بعد السلام على وجهه!!

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فإذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به^(١)،
وصل الفرض كما سيتلى عليك في كيفية الصلاة وأدابها،
فإذا فرغت فقل:

«اللهم صل على محمد وعلی آل محمد وسلم، اللهم
أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، فعینا
ربنا بالسلام، وأدخلنا دارك دار السلام، تبارك يا ذا الجلال
والإكرام، سبحان ربِّي العلي الأعلى، لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو
حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قادر، لا
إله إلا الله أهل النعم والفضل والثواب الحسن، لا إله
إلا الله، ولا نعبد إلا إيه، مخلصين له الدين، ولو كره
الكافرون».

(١) إن كنت شافعياً فإن الصلاة إذا أقيمت لا صلاة بعدها إلا المكتوبة، وإن كنت حنفياً فاشتغل بالسنة، ثم أدرك الفرض مع الإمام إن كنت تعلم أنك تدركه قبل السلام، وهذا في صلاة الصبح لتأكد سنته وعدم جواز السنة بعدها عندهم. اهـ محمد.

الأدعيَة الجامِعة

ثم ادع بعد ذلك بالجومع الكوامل، وهو ما علّمه
رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها، فقال:

اللهم إني أسألك من الخير كلَّه، عاجله وآجله ما
علمتُ منه، وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلَّه، عاجله
وآجله ما علمتُ منه، وما لم أعلم، وأسألك الجنة، وما
يُقرب إليها من قول، وعمل، ونية، واعتقاد. وأعوذ بك
من النار، وما يقرب إليها من قول، وعمل، ونية،
واعتقاد.

وأسألك من خير ما سألك منه عبدُك ورسولك
محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدُك
ورسولك محمد ﷺ.

اللهم وما قضيت لي من أمرٍ فاجعل عاقبته رشدًا^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه، والحاكم وصححه، من حديث عائشة
رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال لها: عليك
بالجومع الكوامل، قولي: وذكر الحديث.

ثم ادعُ بما أوصى به رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها، فقل :

يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت،
برحمتك أستغفِّي، ومن عذابك أستجِير، لا تكلني إلى
نفسِي طرفة عين، وأصلح لي شأنِي كله بما أصلحت به
الصالحين^(١).

* * *

دَعَاء سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام

ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام :
اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك
نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيديك لا يهدِّي غيرك، وأصبحت
مرتهناً بعملي، فلا فقير أفقير مني إليك، ولا غني أغني منك
عني .

(١) أخرجه النسائي في اليوم والليلة، والحاكم من كلام أنس وقال:
صحيح على شرط الشيفيين.

اللهم لا تُشمتْ بي عدوِي، ولا تُسوءْ بي صديقي^(١)،
ولا تجعل مصيبي في دينِي، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همي،
ولا يبلغ علمي، ولا تسلط علىَّ بذنبي، من لا يرحمني^(٢).

ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات،
واحفظها مما أوردناه في كتاب الدعوات من كتاب إحياء
علوم الدين^(٣).

* * *

الوظائف الأربع بعد صلاة الفجر
ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعةً
على أربع وظائف:

١ - وظيفة في الدعوات.

(١) ومعنى الجملتين: يا الله لا تنزل بي بلية، فرحة عدوِي، ولا
مصيبَة، تحزن بها الصادق في ودي.

وتُشمت: بضم التاء، وسكون الشين، وكسر الميم بمعنى تفرح.

وتسوء: بفتح التاء وضم الشين بمعنى تحزن فهو متعد بنفسه
كما في الصحاح.

(٢) ذكره المؤلف في كتابه إحياء علوم الدين وأضافه إلى سيدنا
عيسى عليه السلام ولم يخرجه العراقي.

(٣) ولقد ذكرت بعض الدعوات المأثورة في كتابي «سمير المؤمنين»
الطبعة الثامنة ص ٣١٠ تحت عنوان «جواب الدعاء» فعد إليها
إن شئت وأردت التوسيع في هذا.

٢ - ووظيفة في الأذكار والتسبيحات وتكررها في
مسبحة.

٣ - ووظيفة في قراءة القرآن.

٤ - ووظيفة في التفكير.

فتذكر في ذنوبك وخطيئتك، وتصيرك في عبادة
مولاك، وترعسك لعقابه الأليم، وسخطه العظيم^(١).

وترتب أوقاتك بتديرك أورادك في جميع يومك،
لتدارك به ما فرطت من تصيرك.

وتحترز من التعرض لسخط الله الأليم في يومك،
وتتلوى الخير لجميع المسلمين، وتعزم أن لا تشغلي في
جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتفصل في قلبك
الطاعات التي تقدر عليها، وتحتار أفضلها، وتأمل تهيئة
أسبابها لتشغل بها، ولا تدع عنك التفكير في قرب الأجل،

(١) قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: «استعينوا على الكلام
بالصمت، وعلى الاستنباط بالتفكير».

وقال حاتم: «من العبرة يزيد العلم، ومن الذكر يزيد الحب،
ومن التفكير يزيد الخوف».

وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمر عن الاختيار،
وتحصل الحسرة والندامة وطول الاغترار! ^(١).

(١) عن عبدالله بن مطرف قال :

إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيمًا
لا موت فيه.

أقول: إن من المصائب الفادحة ، التي أصيب بها الإنسان ،
غفلته عما أمامه من أمر محظوظ ، لا مناص عنه - هو الموت -. .
فالموت : مصيبة من أعظم المصائب ، والمصيبة التي هي أعظم
منه ، الغفلة عنه .

وقد قال لقمان لابنه :

يا بني أمر لا تدرى متى يلقاءك؟ استعد له قبل أن يُفاجئك .
والعجب ، أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات ، وأطيب مجالس
اللهو والغفلة ، فهُدِّدَ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ ، بأنه سيدخل عليه
جندى ، ويضرره خمس ضربات ، لتکدرت عليه لذته ، وفسد
عليه عيشه ، فكيف وهو في كل نفس من أنفاسه ، بقصد أن
يدخل عليه ملك الموت ، بسکرات التزع ، وهو غافل .
فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

لم يلق ابن آدم شيئاً قطًّا منذ خلقه الله تعالى أشدَّ عليه من
الموت ، ثم إن الموت لأهونُ مما بعده .

ولله در القائل :

فلو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حيٍّ
ولكن إذا متنا بعثنا
ونسأل بعد ذا عن كل شيء
اهـ محمد .

الكلمات العَشر

وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلماتٍ :

- ١ - إحداهن : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قادر.
- ٢ - الثانية : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، الملك الحقُّ المبين.
- ٣ - الثالثة : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، الواحد القهار، ربُّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار.
- ٤ - الرابعة : سبحان الله، والحمد لله، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّةٍ إِلَّا بالله العليُّ العظيم.
- ٥ - الخامسة : سُبُّوحٌ فَدُوسٌ ربُّ الملائكة والروح.
- ٦ - السادسة : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.
- ٧ - السابعة : أستغفر لله العظيم الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو الحي القيوم، وأسأله التوبَة والمغفرة.
- ٨ - الثامنة : اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطيٌّ لما منعت، ولا رادٌّ لما قضيت، ولا ينفع ذا الجَدُّ^(١) منك الجَدُّ.

(١) أي لا ينفع ذا القوى عندك غناه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك.
ومعنى منك : عندك.

٩ - التاسعة: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وصحبه وسلم.

١٠ - العاشرة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

تكرر كل واحدة من هذه الكلمات إما مائة مرة أو سبعين مرة، أو عشر مرات، وهو أقله، ليكون المجموع مائةً.

ولازم هذه الأذكار ولا تتكلم قبل طلوع الشمس^(١) ففي الخبر:

أن ذلك أفضل من اعتاق ثمانٍ رقابٍ من ولد إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

أعني بالاشغال لذلك إلى طلوع الشمس من غير أن يخلله كلام.

(١) هذه الأمور العشرة التي ذكرها المؤلف - رحمه الله -، من تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتقديس، ودعاء، وثناء؛ فكل واحدة لها سند لا بأس به، فقد خرجها الإمام العراقي مفصلاً وموضحة في «إحياء علوم الدين»: ٣٤١/١، نسألك اللهم التوفيق لذكرك، والإخلاص في عبوديتك. اهـ محمد.

آدَابُ ما بَعْدَ طَلَوْعِ الشَّمْسِ

فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَارْتَفَعَتْ قَدْرَ رَمْحٍ، فَصَلَّى
رَكْعَيْنِ.

وَذَلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ الْكُرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا مُكْرَوَّهَةٌ
مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ الصَّبَحِ إِلَى الْأَرْتِفَاعِ.

فَإِذَا أَضْحَى النَّهَارُ وَمَضَى مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رَبْعِهِ فَصَلَّى
صَلَاةَ الضَّحْيَ أَرْبَعاً، أَوْ سَتَّاً، أَوْ ثَمَانِيَّاً، مُثْنَى مُثْنَى^(۱) فَقَدْ
نُقلَتْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

(۱) وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهَا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، مِنْهَا مَا رُوِيَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ «بَاباً» يُقَالُ لِهِ الضُّحَى، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ: نَادَى
مَنَادٍ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدِيمُونَ صَلَاةَ الضَّحْيَ، هَذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوهُ
بِرَحْمَةِ اللَّهِ!» رَوَاهُ الطَّبرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ.

وَمِنْهَا: مَا رُوِيَّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«مَنْ صَلَّى الضَّحْيَ رَكْعَيْنِ، لَمْ يَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينِ، وَمَنْ
صَلَّى أَرْبَعاً، كَتَبَ مِنَ الْعَابِدِينِ، وَمَنْ صَلَّى سَتَّاً كَفَى ذَلِكَ
الْيَوْمَ، وَمَنْ صَلَّى ثَمَانِيَّاً، كَتَبَ اللَّهُ مِنَ الْقَانِتِينِ، وَمَنْ صَلَّى اثْنَيْ
عَشْرَ رَكْعَةً، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ». رَوَاهُ الطَّبرَانِيُّ مَرْفُوعًا.

والصلة خير كلها، فمن شاء فليستكثر، ومن شاء فليستقلل، فليس بين الطلوع والزوال راتبة إلا هذه الصلوات، فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات:

١ - الحالة الأولى: وهي الأفضل، أن تصرفه في طلب العلم النافع دون الفضول الذي أكبّ الناس عليه وسمّوه علماء.

والعلم النافع ما يزيد في خوفك من الله تعالى ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويُقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترّز منها، ويُطلعك على مكاييد الشيطان وغروره، وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرّضهم لمقت الله تعالى وسخطه، حيث اشتروا^(١) الدنيا بالدين، واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال المسلمين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين، وصرفوا همّهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطربهم ذلك إلى المراءة

(١) في المخطوط «أكلوا».

والمحاورة، والمناقشة في الكلام والمباهة، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب إحياء علوم الدين، فإن كنت من أهله فحصله واعمل به، ثم علمه وادع إليه.

فمن علم ذلك، ثم عمل به، ثم دعا إليه، فذلك يُدعى عظيماً في ملوك السموات بشهادة عيسى عليه السلام.

فإذا فرغت من ذلك، وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل شيء من أوقاتك، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه؛ لتعرف به الفروع النادرة في العبادات، وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات، عند انكابهم على الشهوات.

فذلك أيضاً عند^(١) الفراغ من هذه المهام من جملة فروض الكفايات، فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكر من الأوراد والأذكار، اشتغالاً بذلك، فاعلم أن الشيطان اللعين قد دسَّ في قلبك الداء الدفين! وهو حب الجاه والمال؛ فإياك أن تغترَّ به ف تكون صحكة للشيطان في هلكك، ثم يسخر بك.

فإن جربت نفسك مدةً في الأوراد والعبادات، فكانت

(١) في المخطوط: «بعد».

لا تستقلها كسلًا عنها، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد إلا وجه الله تعالى، والدار الآخرة، فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية، ولكن الشأن في صحة النية.

فإن لم تصحَّ النيةُ فهيَ معدنُ غرورِ الرجال، ومزلة أقدامِ الرجال^(١).

٢ - الحالة الثانية: أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع، لكنْ تشتل بوظائف العبادات، من الذكر، والقرآن، والتسبيحات، والصلوة، فذلك من درجة العابدين، وسير الصالحين، وتكون بذلك أيضًا من الفائزين^(٢).

(١) وعلى هذا ذهب إمامنا الشافعي - رضي الله عنه - حيث قال: من صحت نيته، وأخلصت لله سريرته، فانكبأه على طلب العلم، وصرف وقته فيه، من تعليم، وتعلم، أفضل من اشتغاله بنوافل العبادات: من صلاة، وذكر، ودعاء، وقراءة قرآن؛ لأن النفع المتعدي للغير أفضل من النفع القاصر، وإن لم ير في نفسه الإخلاص: فاشتغاله بتهذيب نفسه، وتطهير قلبه، وإصلاح حاله بالذكر ثارة، والصلوة أخرى، أفضل من اشتغاله بزواائد العلوم. اهـ محمد.

(٢) فقد كان في الصحابة مَنْ ورده في اليوم اثنا عشر ألفَ تسبيحة، وكان فيهم من ورده ثلاثة ألفاً.

٣ - الحالة الثالثة: أن تستغل بما يصل منه خيراً إلى المسلمين، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين، أو تيسّر به الأعمال الصالحة للصالحين: كخدمة الفقهاء، والصوفية، وأهل الدين، والتردد في أشغالهم، والسعى في إطعام الفقراء والمساكين، والتردد مثلاً على المرضى بالعيادة، وعلى الجنازات بالتشييع، فكل ذلك أفضل من النوافل؛ فإن هذه عبادات، وفيها رفق للمسلمين.

٤ - الحالة الرابعة: إن لم تقو على ذلك، فاشتغل بحاجاتك اكتساباً على نفسك أو على عيالك، وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك، وسلّم لك دينك، إذا لم ترتكب معصية، فتتّال به درجة أصحاب اليمين، إن

= وكان فيهم من ورده ثلاثة ركعة، إلى ألف ركعة.
وكان بعضهم أكثر ورده القرآن.

وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة.
وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكير في آية واحدة
يرددتها.

وكان كرز بن وبرة مقيناً بمكة يطوف كل يوم سبعين مرة، وفي كل ليلة سبعين مرة، وكان مع ذلك يختتم القرآن في اليوم والليلة مرتين. اهـ من مراقي العبودية.

لم تكن من أهل الترقى إلى مقامات السابقين^(١)، فهذه أقل الدرجات في مقامات الدين^(٢)، وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين.

وذلك بأن تشغله العياذ بالله بما يهدم دينك، أو تؤديه عبداً من عباد الله بهذه رتبة الـهالكين، فإياك أن تكون في هذه الطبقة!

* * *

دَرَجَاتُ النَّاسِ فِي الْحَقِّ الْدِينِي

واعلم أن العبد في حق دينه على ثلات درجات:

١ - الأولى: إما سالم، وهو: المقتصر على أداء الفرائض، وترك المعاصي.

(١) في المخطوط: «الفائزين».

(٢) أما إذا داومت على الكسب، ولم تنس ذكر الله تعالى في صناعتك، بأن تواظب على التسبيحات والأذكار، وقراءة القرآن، وتتصدق بما فضل عن حاجتك، فذلك أفضل من سائر الأذكار التي ذُكِرت هنا، لأن العبادة المتعدية فائدتها أدنى من الملزمة لصاحبتها، والكسب في هذه النية: عبادة لك في نفسك، تقربك إلى الله تعالى، ثم يحصل به فائدة الغير، وينجذب إليك بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر. اهـ محمد.

٢ - الثانية: أو رابح وهو: المتطوع بالقربات والنواقل.
 ٣ - الثالثة: أو خاسر وهو: المقصر عن اللوازم.
 فإن لم تقدر أن تكون رابحاً، فاجتهد أن تكون سالماً،
 وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً.

* * *

دَرَجَاتُ الْعَبْدِ فِي حَقِّ الْعِبَادِ

والعبد في حق سائر العباد له ثلاثة درجات:

- ١ - الأولى: أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة، وهو أن يسعى في أغراضهم رفقاً بهم، وإدخالاً للسرور على قلوبهم.
- ٢ - الثانية: أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات، فلا ينالهم خيره، ولكن يكف عنهم شره.
- ٣ - الثالثة: أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات، لا يرجى خيره ولا يتقوى شره^(١). فإن

(١) أقول: الإنسان مركب من عنصرين: عنصر روحي، وعنصر شه沃اني.

لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات؛ فإن رضيَت لنفسك النزول من أعلى علية، فلا ترضى لها بالهُويَّ إلى أسفل السافلين! فلعلك أن تتجوَّل كفافاً لا لك ولا عليك. فعليك في بياض نهارك أن لا تشغلي إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغني عنه، وعن الاستعانة به على معادك أو معاشك.

= أما العنصر الروحي : يغذيه الذكر ، والفكر ، والمعرفة ، والعلم .
والشهواني : يغذيه الجهل ، والسفه ، والغفلة ، والحمق .
والإنسان - دائمًا وأبداً بين صراعين ، وبين معاشرين ، فإن غالب جانب الروح ، على جانب الشهوة ، بأن غلت طاعاته على معاصيه ، التحق بالملأ الأعلى ، وصار في صف الملائكة ، فلا يتأنى منه إلا كل خير ، فأصبح نفعاً خالصاً ، وبسمًا شافياً . وإن غالب جانب الشهوة ، على جانب الروح ، التحق والعياذ بالله بالبهائم ، وصار في عداد الحيوانات ولو كان في شكل الإنسان فأصبح شرًا صرفاً ، وضرراً محضاً . اللهم اجعلنا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر . اهـ محمد .

قال سيدنا عليٌّ كرم الله وجهه :
أَبْنَئُ إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةً في صورة الرجل بهيمة
فَطْنٌ لِكُلِّ رِزْيَةٍ فِي مَالِهِ وإذا أصيَبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس،
و كنت لا تسلم فالعزلة أولى بك، فعليك بها! ففيها النجاة
والسلامة^(١).

فإن كانت الوساوس في العزلة تجاذبك إلى ما لا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات
فعليك بالنوم، فهو: أحسن أحوالك.

وأحوالنا إذا عجزنا عن الغنيمة، رضينا بالسلامة في
الهزيمة.

فأنجس^(٢) بحال من سلامه ديه في تعطيل حياته، إذ
النوم أخو الموت، وهو تعطيل الحياة، والتحاق
بالجمادات.

(١) قال بعض الأدباء:

إلزم العزلة تنجو ما بقي في الناس خلة
إن وُدَّ الناس أضحي لنفاق أو لعنة

(٢) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الشين.

فأنجس: فعل ماض جاء على صورة الأمر، وهو فعل التعجب.
ويحال: الباء زائدة لتحسين اللفظ لأن مجيء المرفوع بعد صورة
الأمر قبيح. اهـ محمد.

آدَابُ الْاسْتِعْدَادِ لِلصَّلَاةِ^(١)

ينبغي أن تستعد قبل الزوال لصلاة الظهر، فقدم
الليلة إن كان لك قيام في الليل، أو سهر في الخير.

(١) قال صاحب العهود المحمدية ١٠٩/١ :

أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ : «أن تستعد للصلوة قبل فعلها بما يعيننا على الخشوع فيها، وذلك بالجوع، وترك اللغو، وكثرة الذكر، وتلاوة القرآن، والمراقبة لله تعالى، فإن كف الجوارح عن الفضول، إنما يسهل على العبد بذلك» .

فمن شبع، ولغى، وغفل عن الله تعالى، شردت جوارحه عن إمكانها وعسر على العبد كفها. فاعمل - يا أخي - على تحصيل الحضور مع الله تعالى في العبادات كلها، فإنه روحها، إذ كل عبادة لا حضور فيها فهي إلى المؤاخذة أقرب.

وكان أخي أفضل الدين، يعيد كل صلاة ظن أنه حصل له فيها خشوع، ويقول: كل عبادة شعرت النفس بكمالها فهي ناقصة، فلا يسع العبد إلا أن يصلى، ويستغفر الله.

وسمعت شيخي علياً الخواص - رحمه الله - يقول: إنما كان الأكابر لا يحتاجون إلى تحصيل استعداد لكل صلاة كغيرهم، لأنفكاً قلوبهم عن التعلق بالأكونان، فهم دائماً حاضرون مع الله تعالى، وراثةً محمدية في حال مزاجهم ولغوهم. اهـ

فكل مقام رجال !!

فإن فيها معونةً على قيام الليل، كما أن في السحور
معونةً على صيام النهار!!^(١).

والليلة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام
بالنهار.

واجتهد أن تستيقظ قبل الزوال، وتتوضأ وتحضر
المسجد^(٢) وتصلي تحية المسجد، وتنتظر المؤذن فتجيءه.

ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عقبَ الزوال، كان
رسول الله ﷺ يطّولهن ويقول:

«هذا وقتُ تُفتح فيه أبوابُ السماء، فأحِبْ أن يُرفع لِي
فيه عملٌ صالحٌ».

وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة^(٣)، ففي الخبر.

(١) فقد روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال:
«استعينوا بالليلة على قيام الليل، وبالسحور على صيام النهار،
وبالتمر والزبيب على برد الشتاء».

(٢) أي قبل دخول وقت الصلاة، فإن ذلك من فضائل الأعمال، وإن
لم تتم، ولم تشتعل بالكسب، واشتعلت بالصلوة والذكر فهو
أفضل أوقات النهار؛ لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى
واشتغالهم بهموم الدنيا، كذا في «الإحياء».

(٣) عن أم حبيبة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ =

«أن من صلاهُنَّ فأحسن ركوعهن وسجودهن، صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى الليل».

ثم تصلي الفرض مع الإمام، ثم تصلي بعد الفرض ركعتين^(١)، فهما من الرواتب الثابتة.

= يقول:

«من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها: حرم الله على النار». رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذى.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أربع قبل الظهر ليس فيها تسلیم، تفتح لهن أبواب السماء». رواه أبو داود واللفظ له، وابن ماجه، وفي إسنادهما احتمال للتحسین.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط ولفظه قال: لما نزل رسول الله ﷺ على رأيته يُدِيم أربعًا قبل الظهر وقال: «إنه إذا زالت الشمس، فتحت أبواب السماء فلم يغلق منها باب حتى تصلي الظهر، فأنما أحب أنه يرفع لي في تلك الساعة خير».

(١) وعن أم حبيبة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها: حرم الله على النار». وقد ذكرنا هذا الحديث في سنة الزوال مع تخریجه اهـ.

ولا تستغل إلى العصر إلا بتعلم أو علم أو إعانة مسلم، أو قراءة قرآن، أو سعي في معاشٍ تستعين به على دينك.

ثم تصلي أربع ركعات قبل العصر، وهي سنة مؤكدة، فقد قال رسول الله ﷺ :

«رحم الله امرأً صلى أربعًا قبل العصر»^(١).
فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ ، ولا تستغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة، فتشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق^(٢).

بل ينبغي أن تحاسب نفسك، وترتب أورادك ووظائفك

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وحسنه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما، عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ إلا أنه في هذه الرواية قال: رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا؛ فأخر أربعًا عما قبله.

(٢) أي متروكة بلا فائدة، وفي هذا الوقت يكره النوم، قال بعض العلماء: ثلاثة يمتنع الله عليها:

- ١ - الضحك بغير عجب.
- ٢ - والأكل من غير جوع.
- ٣ - ونوم النهار من غير سهر بالليل.

في ليلك ونهارك، وتعين لكل وقت شغلاً لا تتعداه ولا تؤثر
فيه سواه، فبذاك تظهر بركة الأوقات.

فاما إذا تركت نفسك سدى مهملًا إهمال البهائم لا
تدرى بماذا تستغل في كل وقت، فينقضي أكثر أوقاتك
ضائعاً، وأوقاتك عمرك.

وعمرك رأس مالك وعليه تجارتكم، وبه وصولك إلى
نعميم دار الأبد في جوار الله تعالى.

فكل نفسٍ من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها؛ إذ لا بدل
له، فإذا فات فلا عود له^(١).

(١) قال الأعشى رحمة الله :
إذا أنت لم ترحل بزاد من التّقى
ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوّدا
ندمتْ على أَنْ لَا تكون كمثلي
وأنك لم ترْصُدْ كما كان أرْصَدا
وقال الحافظ أبو إسماعيل البخاري :
اغتنم في الفراغ فضل رُكوع
فعسى أَنْ يكون موْتُك بعْته
كم صحيحٍ تراه من غير سُقُم
ذهبْ نفْسُه الصَّحِيحَةَ فلْتَه

فلا تكن كالحمقى المغرورين، الذين يفرحون كلَّ يوم
بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم، فأئُ خير في مال يزيد،
وعمر ينقص؟!

ولا تفرح إلا بزيادة علم، أو عمل صالح، فإنهما
رفيقاك يصحبانك في القبر، حيث يتختلف عنك: أهلك
ومالك ولدك وأصدقاوك.

ثم إذا اصفرت الشمس، فاجتهد أن تعود إلى المسجد
قبل الغروب، وتشتغل بالتسبيح والاستغفار، فإن فضل هذا
الوقت كفضل ما بعد الظلوع.

قال الله تعالى: ﴿ وَسَيَّحٌ حَمْدِرَيْكَ قَبْلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾^(١).

واقرأ قبل غروب الشمس: والشمس وضحاها، والليل
إذا يغشى، والمعودتين.

ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار، فإذا
سمعت الأذان فأجب وقل بعده:

اللهم إني أسألك عند إقبال ليلك، وإدبارة نهارك،

(١) من سورة طه، آية: ١٣٠.

وحضور صلاتك، وأصوات دعاتك، أن تؤتيَ محمداً
الوسيلة والفضيلة، والشرف والدرجة الرفيعة، وابعه المقام
المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد. والدعاء كما
سبق^(١).

ثم صلّ الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة، وصلّ
بعده ركعتين قبل أن تتكلم، فهما راتبة المغرب.
وإن صليت بعدهما أربعاً فهي - أيضاً - سنة.

وإن أمكنك أن تنوي الاعتكاف إلى العشاء وتحبى ما
بين العشاءين بصلة فقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى،
وهي ناشئة الليل، لأنها أول نشأة^(٢) وهي صلاة الأوابين^(٣).

(١) في صفحة: ٧٧.

(٢) إن بدء الليل بالصلاحة أشدّ موافقة بين القلب والبصر والسمع
واللسان، لانقطاع الأصوات والحركات.
وأعظم سداداً من جهة وقوعه في القلوب لحضور القلب، لأن
الأصوات هادئة، والدنيا ساكنة.

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهم يصلي بين المغرب
والعشاء ويقول: هي ناشئة الليل. كما في السراج المنير.

(٣) وقال الأسود: ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت
إلا ورأيته يصلي، فسألته فقال: نعم هي ساعة الغفلة.

وكان أنس رضي الله عنه يواطئ عليها ويقول: هي ناشئة الليل، =

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿تَجَاجَ فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ .

فَقَالَ : هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ إِنَّهَا تَذَهَّبُ بِالْمُلْغَيَاتِ أَوْلَى النَّهَارِ وَآخِرَهُ .

وَالْمُلْغَيَاتِ جَمِيعُ مَلْغَاهُ ، وَهِيَ مِنَ الْلَّغْوِ . فَإِذَا دَخَلَ وَقْتَ الْعِشَاءِ ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رُكُنَاتٍ قَبْلَ الْفَرْضِ ، إِحْيَا لِمَا بَيْنَ الْأَذَانِينِ ، فَفَضَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

وَفِي الْخَبْرِ : أَنَّ الدُّعَاءَ مَا بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرْدَدُ^(١) .

= ويقول: فيها نزل قوله تعالى: ﴿تَجَاجَ فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ = سورة السجدة، آية ١٦ .

وَأَمَّا حَدِيثُ سَيْلٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿تَجَاجَ فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ لَمْ أَقْفَ لَهُ عَلَى سَنَدٍ ، وَحْتَيَ الْمُؤْلِفُ - رَحْمَةُ اللَّهِ - لَمْ يَذْكُرْهُ فِي كِتَابِهِ «الْإِحْيَا» فِي فَضْلِ إِحْيَا مَا بَيْنَ الْعِشَاءِينِ .

(١) فَقَدْ رُوِيَ أَبُو دَاوُدُ وَغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرْدَدُ» .

زاد النسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحبيه: فادعوا ، وزاد الترمذى: فقالوا: لماذا نقول يا رسول الله؟ قال:

ثم صلَّى الفرض وصلَّى الراتبة ركعتين، واقرأ فيهما سورة آلم السجدة، وتبارك الملك، أو سورة يس والدخان.

فذلك مأثور عن رسول الله ﷺ، وصلَّى بعدها أربع ركعات، ففي الخبر ما يدل على عظيم فضلها^(١).

ثم صلَّى الوتر بعدها ثلاثة بتسليمتين أو بتسليمة واحدة.

وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيهما سورة: سبعة اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص، والمعوذتين^(٢).

= «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة».

وروى الحاكم مرفوعاً:

«إذا نادى المنادي فتحت له أبواب السماء وأستجيب الدعاء، فمن نزل به كرب أو شدة فليجئ المنادي». أي يتضرر بدعونه حتى يؤذن المؤذن فيجيئه، ثم يسأل الله حاجته.

(١) روى الطبراني مرفوعاً:

«أربع بعد الظهر، كاربع بعد العشاء، وأربع بعد العشاء يعدل أربعاً من ليلة القدر».

وفي رواية أخرى له مرفوعاً:

«من صلى العشاء الأخيرة في جماعة، وصلَّى أربع ركعات قبل أن يخرج من المسجد كان كعدل ليلة القدر».

(٢) لما رواه النسائي، وابن ماجه:

فإن كنت عازماً على قيام الليل، فآخر الوتر ليكون آخر
صلاتك بالليل وتراً.

ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب.
ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك
قبل نومك، فإن الأعمال بخواتيمها.

* * *

آدَابُ النَّوْم

فإذا أردت النوم، فابسط فراشك مستقبلاً القبلة، ونمْ
على يمينك كما يضجع الميت في لحده.
واعلم أن النوم مثل الموت، واليقظة مثل البعث^(١).

= سئلت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟
قالت:

كان يقرأ في الأولى بـ(سبع اسم ربك الأعلى) وفي الثانية
بـ(قل يا أيها الكافرون) وفي الثالثة بـ(قل هو الله أحد
والمعوذتين).

= (١) فقد قال لقمان لابنه يا بني :

ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعداً
للقاء^(١) بأن تناه على طهارة، وتكون وصيتك مكتوبة تحت
رأسك^(٢) وتنام تائباً من الذنوب، عازماً على أن لا تعود إلى
معصية.

= إن كنت تشك في الموت فلا تنم! فكما أنك تنام كذلك تموت.
وإن كنت تشك في البعث فلا تتبه بعد نومك! فكذلك تُبعث
بعد موتك.

(١) والله در القائل:
الموت لا بد منه فاستعد له
إن الليب بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيشٍ أو يلذُّ به
من التراب على خديه مجعلٌ

وقيل أيضاً:
إذا أمسيت فابتدر الفلاحا
ولا تهمله تنتظر الصباحا
وتب مما جنت فكم أنسا
قضوا نجباً وقد باتوا صباحا

(٢) روى ابن ماجه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:
«المحروم من حرم الوصية، ومن مات على وصية مات على
سبيل وسنته، وتُقى وشهادة، ومات مغفراً له».

.....
.....
.....

= وقال الدميري : رأيت بخط ابن الصلاح :
أن من مات من غير وصية لا يتكلم في مدة البرزخ ، والأموات
يتزاورون سواه .

فيقول بعضهم لبعض : ما بال هذا؟ فيقال : مات على غير
وصية . اهـ تنوير القلوب ص ٣٤٣ .

هي مستحبة في الثالث فأقل لغير الوارث ، وتكره في الزائد على
الثالث ، ويتوقف تنفيذه على إجازة الورثة .

لما في الصحيحين :
أن سعد بن أبي وقاص قال : قلت يا رسول الله قد بلغ بي من
الرجم ما ترى ، وأنا ذو مالٍ ، ولا يرثني إلا ابنة .
فأقصدي بثلثي مالي؟ .

قال : «لا» .

قلت : فالشطر؟ .

قال : «لا» .

قلت : فالثالث؟ .

قال : «الثالث ، والثالث كثير» .

وتحجب الوصية إن ترتب على تركها ضياع له ، أو عليه ، أو عنده ،
كأن كان عنده ودائع لم يعلم بها أحد يشهد بها .

وتحرم لمن عُرف أنه متى كان له شيء في تركه أفسدها في
طرقٍ غير مشروعة .

وكانت واجبة أول الإسلام للأقارب لقوله تعالى :

*** كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا =**

واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى، وتذَّكِّر أنك سُتُضجع في اللحد كذلك وحيداً فريداً، ليس معك إلا عملك، ولا تُجزِي إلا بسعيك، ولا تستجلب النوم تكلاً بتمهيد الفرش الوطئية، فإن النوم تعطيل الحياة؛ إلا إذا كانت يقظتك وبالاً عليك، فنومك سلامٌ لدینك!

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فلا يكون نومك بالليل والنهار أكثر من ثمانى ساعات، فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنةً أن تضيع منها عشرين سنة، وهو ثلث عمرك!

وأعد عند النوم سواكك وطهورك، واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح.

وركعتان في جوف الليل كثُر من كنوز البر، فاستكثر من كنوزك ليوم فدرك، فلن تغنى عنك كنوز الدنيا إذا مِتَ^(١).

= الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنَ * الآية .

ثم نسخ وجوبها بأيات المواريث وبقي استحبابها.
انظر حاشية التحرير ٧١/٢

(١) روى الإمام مسلم: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

وقل عند نومك : باسمك ربِّي وَضَعْتُ جَنِي ، وبِاسْمِك
أرْفَعْهُ ، وبِاسْمِك أَحْيَا وبِاسْمِك أَمْوَاتٍ ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي .
اللَّهُمَّ قَنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ

= قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». وعنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «في الجنة غرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها». فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبيات قائمًا والناس نائم». رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن. وروي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناسُ في صعيد واحد يوم القيمة، فينادي منادٍ فيقول: أين الذين كانوا تتجاذبُ جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهو قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب». رواه البيهقي. وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه.

ففقل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.
قال: «أفلا أكون عبدًا شكوراً؟».
رواه البخاري ومسلم والنسائي.

من شر كل ذي شر، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها،
إن ربي على صراط مستقيم.

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر
فليس بعده شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت
الباطن فليس دونك شيء.

اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوهاها، لك مماتها
ومحياتها، إن أمتها فاغفر لها، وإن أحيتها فاحفظها بما
تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم إني أسألك العفو
والعافية.

اللهم أيقظني في أحّب الساعات إِلَيْكَ، واستعملني
بأحّب الأعمال إِلَيْكَ، حتى تُقرّبني إِلَيْكَ زلفي، وتُبعدني
عن سخطك بعدها، أسألك فتّعطيوني، وأستغفرك فتغفر لي،
وأدعوك فتستجيب لي.

ثم اقرأ آية الكرسي، وآمن الرسول إلى آخر السورة،
والإخلاص، والمعوذتين، وسورة تبارك الملك.
وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة^(١)،

(١) هذه الأذكار والأدعية والآيات، قد ذكرها الإمام النووي في كتابه
القائم الأذكار في باب ما يقوله إذا أراد النوم واضطجع على
فراشه.

فمن فعل ذلك عُرِجَ بروحه إلى العرش، وُكُتب مصلِّيًّا إلى
أن يستيقظ .

فإذا استيقظت فقل ما كان رسول الله ﷺ يقول: لا إله
إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز
الغفار. فارجع إلى ما عرَفْتُك أولاً، ودام على هذا الترتيب
بقية عمرك، فإن شَقَّت عليك المداومة فاصبر صَبْرَ المريض
على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء!! وتفكر في قِصر عمرك،
وإن عشت مثلاً مائة سنة، فهي قليلة بالإضافة إلى مقامك
في الدار الآخرة، وهي أبد الآباد.

وتأمل أنك كيف تحمل المشقة والذل في طلب الدنيا
شهرًا أو سنة، رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً!!
كيف لا تحمل ذلك أيامًا قلائل رجاء الاستراحة أبد
الآباد؟ .

ولا تطول أملك فيثقل عليك عملُك^(١)، وقد قرب

= فارجع إليه إن شئت، فإن فيه البغية الواافية إن شاء الله
تعالى وقد حققه الأخ الفاضل الشيخ علي الصابوني جزاء الله
عن المسلمين خيراً. اهـ محمد.

(١) فقد روى البزار عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال
رسول الله ﷺ: أربعة من الشقاء:

الموت وقل في نفسك: إني أحتمل المشقة اليوم فلعلني
أموت الليلة، وأصبرُ فلعلي أموت غداً، فإن الموت لا
يهجم في وقت مخصوص، وحالٍ مخصوص، وسن
مخصوص، فلا بد من هجومه، فالاستعداد له أولى من

- = ١ - جمود العين.
- ٢ - وقسوة القلب.
- ٣ - وطول الأمل.
- ٤ - والحرص على الدنيا.

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهم - لا أعلم إلا
رفعه - قال:

صلاح أول هذه الأمة بالزهداء، واليقين.
وهلاك آخرها بالبخل والأمل. رواه الطبراني.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: اشتري
أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمعت رسول الله ﷺ
يقول:

الآ تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر؟ إن أسامة لطويل الأمل.
والذي نفسي بيده ما طرقت عيناي إلا ظنت أن شفري لا يلتقيان
حتى يقبض الله روحني، ولا رفعت قدحأ إلى في فظنت أنني
واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظنت أنني لا أسيغها
حتى أغص بها من الموت.

والذي نفسي بيده إنما توعدون لات، وما أنتم بمعجزين.
رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل، وأبو نعيم في الحلية،
والبيهقي والأصبهاني.

=

الاستعداد للدنيا، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة
يسيرةً.

= وعن معاذ - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله أوصني،
قال:

اعبد الله كأنك تراه.
واعد نفسك في الموتى.
واذكر الله عند كل حجر، وعند كل شجر.
إذا عملت سيئة فاعمل بمحبها حسنة.
السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

رواه الطبراني بإسناد جيد.

أقول:

لقد أسلبت الحديث حول هذا الحقل الخطير، لما أصبت الأمة
الإسلامية فيه: من طول الأمل، وفساد العمل، فكان الموت
على غيرنا كتب، حتى اطمئنت نفوسنا لدار مصيرها الفتاء،
فاستراحت لشهواتها السريعة الزوال. مع الانهماك في جمع
حطاها من حلال أو حرام. فأنهكنا قوانا، وأضعفنا أبداننا،
وتتجاهلنا ما كان عليه أسلافنا، فانحرفنا انحرافاً مديداً، وضللنا
ضلالاً بعيداً.

فقصت قلوبنا، وصممت أذاننا، وساقت أحوالنا، وفسدت
أعمالنا، وأصبحنا على خطير عظيم من ديننا وصدق علينا قول
القائل:

نرفع دينانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
اهـ محمدـ.

ولعله لم يبق من أجلِكَ إِلَّا يوْمٌ واحِدٌ، أَوْ نَفْسٌ واحِدٌ،
 فقدَرَ هذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ يوْمٍ، وَكَلَفَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى
 طَاعَةِ اللهِ يَوْمًا يَوْمًا، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَرْتَ البقاءَ خَمْسِينَ سَنَةً،
 وَأَلْزَمْتَهَا الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ نَفْرَتْ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ، فَإِنَّ
 فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَرَحِتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرْحًا لَا آخِرَ لَهُ، وَإِنْ
 سَوَّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ، جَاءَكَ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا تَحْتَسِبُهُ،
 تَحْسَرَتْ تَحْسِرًا لَا آخِرَ لَهُ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمِدُ الْقَوْمَ
 السُّرَى^(١).

وَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيكَ خَبْرُ الْعَقْبَىِ: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدَ

حِينَ^(٢)﴾^(٣).

(١) بضم السين وفتح الراء، ومعناه في الأصل: السير أول الليل وأوسطه وآخره، كما في المصباح، والمراد بذلك الطاعة في ذلك الوقت اهـ.

(٢) من سورة ص، آية: ٨٨.

(٣) فرضي الله عن عالمنا وإمامنا ومرشدنا أبي حامد، كيف سلك في تعبيره هذا مسلك الحكيم الخبير، الثابت الوقاف.

فقد جاء بعبارات تهز القلوب القاسية هرزاً، وتُهطل الدموع العاصية هطلاً، وتذكر الإنسان في غفلته عما سيلقه أمامه، وهو غارق في الأمور الوهمية، تائه في الأشياء الخيالية.

= فالإنسان: مهما بلغ من متع الحياة - ولو وصل إلى أوجها -

وإذا أرشدناك إلى ترتيب الأوراد، فلنذكر لك كيفية الصلاة، والصوم، وآدابهما، وآداب القدوة والجماعة وال الجمعة.

* * *

سيتجرد عن الأهل والخلان، والممال والولدان، وعن كل شيء أويه، شاء ذلك أو أبي.

فقد بلغ المؤلف - رحمة الله - من التمثيل، وضرب الأمثال مُبلغًا لم يُدرك أحدًا شاؤه.

وذكرني بكلمة لأحد أساتذتي حيث قال: أنا في قلبي شيء على الصوفية، إلا أنها حامد الغزالى، فلم يترك مجالاً لناقٍ؛ فإذا عشرتم على أي كتاب له فلا تزهدوا فيه، فإنه جمع بين العاطفة والحقيقة.

فكلامه ينبع من قلبه، وقلبه معلق بربه، فهو إمام رباني، وعالم صمداني فحاله يغلب قوله، وقاله يعبر عن حاله. اهـ محمد.

آدَابُ الصَّلَاةِ

إِذَا فرَغْتَ مِنْ طهَارَةِ الْخَبِيثِ، وطهارةِ الْحَدِثِ، فِي
الْبَدْنِ وَالثِيَابِ وَالْمَكَانِ، وَمِنْ سُترِ الْعُورَةِ مِنَ السُّرَةِ إِلَى
الرُّكْبَةِ، فَاسْتَقْبِلِ الْقَبْلَةَ قَائِمًا مُفْرَجًا بَيْنَ قَدَمَيْكَ بِحِيثِ لَا
تَضْمِنُهَا، وَاسْتَوِ قَائِمًا ثُمَّ اقْرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾
تَحْصَنًا بِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَاحْضُرْ قَلْبَكِ، وَفَرَغْهُ مِنَ
الْوَسَاوِسِ، وَانْظُرْ بَيْنَ يَدَيْكِ مَنْ تَقْوِيمُ وَمَنْ تَنْاجِي؟ .

وَاسْتَحْ أَنْ تُنْاجِي مُولَاكَ بِقَلْبِ غَافِلٍ، وَصَدْرِ مَشْحُونٍ
بِوَسَاوِسِ الدُّنْيَا، وَخَبَائِثِ الشَّهَوَاتِ!!^(١).

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَطْلُعُهُ عَلَى سَرِيرَتِكِ، وَنَاظِرٌ إِلَى
قَلْبِكِ، فَإِنَّمَا يَتَقْبِلُ اللَّهُ مِنْ صَلَاتِكِ بِقَدْرِ خَشُوعِكِ،
وَخَضْرُوكِ وَتَوَاضُعِكِ وَتَضْرِعِكِ.

وَاعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ

(١) فَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ: «مَنْ صَلَى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يَحْدُثْ نَفْسَهُ فِيهِما
بَشَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا غُفرَ لَهُ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ مِنْ حَدِيثِ صَلَةِ بْنِ أَشْيَمِ وَهُوَ
فِي الصَّحِيحَيْنِ.

يراك، فإن لم يحضر قلبك، ولم تسكن جوارحك، فهذا
لقصور معرفتك بجلال الله تعالى.

فقدَر أن رجلاً صالحًا من وجوه أهل بيتك، ينظر إليك
ليعلم كيف صلاتك، فعند ذلك يحضر قلبك، وتسكن
جوارحك.

ثم ارجع إلى نفسك فقل: يا نفس السوء!! ألا
تستحيي من خالقك ومولاك؟! إذا قدرت اطلاع عبد ذليل
من عباده اطلع عليك، وليس بيده نفعك ولا ضرك،
خشعت جوارحك، وحسنت صلاتك! ثم إنك تعلمين أنه
مطلع عليك، ولا تخشعين لعظمته، فهو تعالى عندك أقل
من عبد من عباده؟! فما أشدَّ طغيانك وجهلك؟! وما أعظم
عداوتَك لنفسك؟؟؟.

فعالج قلبك بهذه الحيل، فعساه أن يحضر معك في
صلاتك، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلْت منها، وأما
ما أتيت به مع الغفلة والسهو، فهو إلى الاستغفار والتکفير
أحوج^(١).

(١) والله در القائل:

تصلي بلا قلب صلاة بمثلها
يكون الفتى مستوجبًا للعقوبة =

فإذا حضر قلبك فلا ترك الإقامة . وإن كنت وحدك .
وإن انتظرت حضور جماعة غيرك ، فاذن ثم أقم ، فإذا أقمت
فانبو وقل في قلبك :

أؤدي فرض الظهر لله تعالى ، ول يكن ذلك حاضراً في
قلبك عند تكبيرك ، لا تعزب عنك النية قبل الفراغ من
التكبير .

وارفع يديك عند التكبير بعد إرسالهما أولاً إلى منكبيك

= تَظَلُّ وَقَدْ أَتَمْتَهَا غَيْرَ عَالِمٍ
تزيد احتياطاً ركعةً بعد ركعةً
فوينك تدرى منْ تُساجِه مُغْرِضاً
وبين يَدِيْهِ مَنْ تَحْنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
تُخاطِبَه إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبَلاً
على غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضرورة
وَلَوْ رُدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَه
تميَّزَتْ مِنْ غَيْرِهِ عَلَيْهِ وَغَيْرَه
أَمَا تَسْتَحِي مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ أَنْ يُرْأَى
صُدُوكَ عَنْهِ يَا قَلِيلَ المَرْوِهَه
إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَهُذِّبْنَا
إِلَى الْحَقِّ نَهْجًا إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقَه

وهما مبسوطتان، وأصابعهما منشورة، ولا تتكلف ضمّها
ولا تفرِيقها.

وارفع يديك بحيث تحادي بإيمانك شحمتي أذنيك،
ورؤوس أصابعك أعلى أذنيك، وتحادي بكفيك منكبيك.

فإذا استقرتا في مقرهما فكبّر، ثم أرسلهما برفق، ولا
تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قَدَامِ دفعاً، ولا إلى
خلفِ رفعاً، ولا تنفضهما يميناً ولا شمّالاً.

فإذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك، وأكرم
اليمني بوضعها على الشمال، وانشر أصابع اليمني على طول
ذراعك اليسرى، واقبض بها على كوعها، وقل بعد التكبير:
الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة
وأصيلاً، ثم اقرأ:

«وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

ثم قل: أَعُوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم اقرأ الفاتحة
بتشدیداتها، واجتهد في الفرق بين الصاد والظاء في قراءتك
في الصلاة، وقل: آمين، ولا تصله بقولك: ولا الضالين وصلاً.

واجهر^(١) بالقراءة في الصبح، والمغرب، والعشاء،
أعني الركعتين الأولتين، إلا أن تكون مأموماً.

واجهر بالتأمين واقرأ في الصبح بعد الفاتحة - من
السور - طوال المفصل - وفي المغرب - من قصاره - وفي
الظهر والعشاء - من أوساطه، نحو:

﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوج﴾ وما قاربها من السور.

وفي الصبح في السفر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾،
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ولا تصل آخر السورة بتكبيرة الركوع، ولكن افصل
بينهما بمقدار سبحان الله^(٢).

وكن في جميع قيامك مُطْرِقاً قاصراً نظرك على
مُصَلَّاك، ذلك أجمع لهمك وأجدُر لحضور قلبك^(٣).

(١) أقول: فحكم الجهر عند السادة الشافعية سنة، سواء كان منفرداً أو إماماً، وعند السادة الحنفية واجب إن كان إماماً، وسنة إن كان منفرداً. اهـ محمد.

(٢) أقول: فوصل السورة بالركوع مكروه، ويقتضي سجود السهو،
وأما وصل الفاتحة بالركوع فمفاسد للصلوة. اهـ محمد.

(٣) أقول: وهذه الهيئة مما تعيّن على الخشوع كما ذكروها في =

وإياك أن تلتفت يميناً وشمالاً في صلاتك^(١)، ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق، ومدّ التكبير إلى انتهاء الركوع.

ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورةً، وانصب ركبتيك، ومدّ ظهرك وعنقك، ورأسك مستوياً كالصفيحة الواحدة، وجاف مرفقيك عن جنبيك.

= المطولات من الكتب: إلا عند قولك إلا الله، فانتظر إلى مسبحتك حتى السلام أهـ محمد.

(١) أقول: ويكره الالتفات فيها بوجهه بغير قصد لعب، وإلا بطلت صلاته، يميناً أو شمالاً.

وقيل: يحرم لخبرٍ:
لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت؛ فإذا التفت أعرض الله عنه.

وصح: أنه اختلاس من الشيطان.
ورفع البصر إلى السماء وغيرها لخبرٍ:
ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في الصلاة، ليتهنّ أو لتخطفنَ أبصارُهم.

إلا لحاجة فلا يكره؛ بل قد يسن كالالتفات إلى معصوم يخاف عليه، يعني الهلاك ك طفل دنا من النار، أو كأعمى خيف عليه السقوط في حفرة.

أهـ من بشرى الكريم ١٠٠ / ١

والمرأة لا تفعل؛ بل تضم بعضها إلى بعض، وقل:
سبحان ربِّ العظيم وبحمده، وإن كنت منفرداً فالزيادة إلى
سبع وعشرين حسناً، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً،
وارفع يديك قائلاً: سمع الله لمن حمده؛ فإذا استويت قائماً
فقل: ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض وملء ما
شئت من شيء بعد.

وإن كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة
الثانية في اعتدالك من الركوع^(١).
ثم اسجد مكمراً غير رافع اليدين.

وضع أولاً على الأرض ركبتيك، ثم يديك، ثم جبجتك
مكسوفةً.

وضع أنفك مع الجبهة، وجافِ مرفقيك عن جنبيك،
وأقلَّ^(٢) بطنك عن فخذيك، والمرأة لا تفعل ذلك.

(١) القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة أخرجه البيهقي، من
حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كان النبي ﷺ يقنت في
صلاة الصبح بهؤلاء الكلمات: اللهم اهدني فيمن هديت
أخرجه أبو داود، والترمذني وحسنه.

(٢) أي ارفع.

وضع يديك على الأرض حذو منكبيك، ولا تفرش ذراعيك على الأرض^(١).

وقل: سبحان رب الأعلى ثلاثة، أو سبعاً، أو عشراً،
إن كنت منفرداً .

ثم ترفع من السجود مكمراً حتى تعتدل جالساً، واجلس على رجلك اليسرى، وانصب قدمك اليمنى^(٢)، وضع يديك على فخذيك والأصابع منشورةً وقل:

رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، واهدني،
واجبرني، واعف عنـي.

ثم اسجد سجدة ثانية كذلك، ثم اعتدل جالساً جلسة الاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها^(٣).

(١) النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب.
متفق عليه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه. أقول: هذه السنن التي ذكرها المؤلف لمن كان صحيح البدن، سليم الحواس، وإلا فيعذر الإنسان في بعض الأحيان، إما لمرض أو شيخوخة أهـ محمد.

(٢) ويقال لهذه الجلسة الافتراض.

(٣) قال المؤلف رحمه الله تعالى، في كتابه الإحياء ١٥٨/١
وجلسة الاستراحة: لم نعدها من أصول السنة في الأفعال، لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام، لأنها ليست مقصودة بنفسها.

ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض؛ ولا تقدم إحدى
رجليك في حالة الارتفاع.

وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة
الاستراحة، ومدّها إلى منتصف ارتفاعك إلى القيام.

ولتكن هذه الجلسة جلسة مختطفة^(١)، وصلّ الركعة
الثانية كالأولى، وأعدّ التعوذ في الابتداء^(٢).

ثم تجلس في الركعة الثانية للتشهد الأول، وضع اليد
اليمنى في جلوسك للتشهد الأول على الفخذ اليمنى
مقبوضة الأصابع، إلا المسبحة والإبهام، فترسلهما.

وأشير بمسبحة يمناك عند قولك: إلا الله، لا عند لا
إله، وضع اليد اليسرى^(٣) في هذا التشهد كما بين
السجدتين، وفي التشهد الأخير متورّكاً^(٤).

(١) أفضلها أخفها.

(٢) فالتعوذ عند الشافعية، مستحب لكل ركعة سواء كان إماماً أو
مقتدياً، أو مُنفراً إلا إذا كان الإمام سريعاً القراءة، والمأموم
بطيئها يتركه ليتم الفاتحة عند القيام.

(٣) منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى، واجلس على رجلك
اليسرى.

(٤) حد التورك: أن تخرج قدمك اليسرى من تحت رجلك اليمنى
وتنصب اليمنى.

واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبي ﷺ^(١). واجلس فيه على وركك الأيسر، وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك، وانصب القدم اليمنى.

ثم قل بعد الفراغ: السلام عليكم ورحمة الله، مرتين من الجانبين، والتفت بحيث يُرى خذلك من جانبك.

وانو الخروج من الصلاة، وانو السلام على مَنْ على جانبيك من الملائكة وال المسلمين، وهذه هيئة صلاة المنفرد.

وعماد الصلاة: الخشوع، وحضور القلب، مع القراءة، والذكر بالفم.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى:
كل صلاة لا يحضر فيها القلب، فهي إلى العقوبة
أسرع.

وقال ﷺ:

«إن العبد ليصلِّي الصلاة فلا يكتب له منها سدُّها»

(١) وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه:
إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

ولا عُشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها^(١).

* * *

آدَابُ الْإِمَامَة^(٢)

ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة ، قال أنس رضي الله

عنه :

(١) الحديث أخرجه أبو داود، والنسائي ، وابن حبان ، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما . أقول : عد إلى ص ١١٥ وأعد النظر في الآيات .

(٢) قال صاحب العهود المحمدية ١ / ٩٩ :
أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ ، أن نؤم بالناس حيث طلبوا منا ذلك ، واجتمعت فيما بيننا الشروط .
ولا نقول : نحن مالنا عادة بالإمامنة ، كما يقع فيه الجافي الطبع من الفقهاء والفقراء ! .

واعلم أنه ليس مما ذكرناه من امتنع عن الإمامة لشهود ضعفه عن تحمل سهو المؤمنين ، ونقص صلاتهم ؛ فإن هذا إنما ترك فعل ذلك احتياطاً لنفسه لا حياء طبيعياً .

وقد رأيت الشيخ جلال الدين السيوطي - رحمه الله - يُصلِّي الظهر ، فأحرم خلفه رجل ، فلما سلم قال :

.....
= لا تعد تصلي خلفي أبداً، فإني عاجز عن تحمل نقص صلالي،
فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيري؟؟.

قال له الرجل: إنما قصدت حصول فضل الجماعة لكم،
قال الشيخ: عدم تحمل نقص صلاتك، أرجحُ عندي من
حصول فضل جماعتك. اهـ.

أقول: ولكل مقام رجال. والفرق بين الصلاة التامة والكاملة، أن
التابعة هي ما جمعت الشروط والأركان، من غير أن ينقص منها،
والكاملة ما زادت على ذلك بالحضور والخشوع ونحو ذلك من
الأعمال القلبية. اهـ محمد.

والمستحب: أن يخفف في القراءة والأذكار.
لما روي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ أنه
قال:

إذا صلى أحدكم بالناس، فليخفف، فإن فيهم السقيم،
والضعيف، والكبير.

وفي رواية: وإذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء اهـ.
وإن صلى بقوم يعلم أنهم يؤثرون التطويل لم يكره التطويل، لأن
المنع لأجلهم وقد رضوا.

اهـ من المهدب للإمام الشيرازي ١/٩٥

أقول:
إن التطويل المنهي عنه، هو ما زاد على المسنون من قراءة أو
تسبيح.
وعتب النبي على معاذ حيث قال له: أفتان أنت يا معاذ؟ لأنه قد =

«ما صلّيت خلف أحد صلاة أخفّ ولا أتمّ من صلاة
رسول الله ﷺ».

ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة، وما لم تسو
الصفوف، ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات، ولا يرفع المأموم
صوته إلا بقدر ما يُسمع نفسه.

ويبني الإمام الإمامة لينال الفضل، فإن لم ينو صحت
صلاة القوم إذا نووا الاقتداء به، ونالوا فضل القدوة^(١).

ويُسرُّ بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد، ويجهز بالفاتحة
والسورة في جميع الصبح، وأولئي المغرب والعشاء،
وكذلك المنفرد.

= قرأ على ما زاد على المستون بكثير.

فمثلاً: فقراءة السجدة وهل أتى - صبح الجمعة - أمر مطلوب
ومستون، رضي المأمومون به أم لم يرضوا، فليس للإمام تركه
مراقبة لهم.

فالمريض، والعاجز، وغيرهما فليجلسوا، ولا يكلف الإمام ترك
المستون الوارد لأجلهم.. والله أعلم فحرره. اهـ محمد.

(١) أقول: نية الإمام الإمامة، سنة في حقه لينال ثواب الجماعة. ونية
المأموم القدوة، فرض في حقه لتصح القدوة. ويجب على الإمام نية
الإمامية في صلاة الجمعة والمعادة. اهـ محمد.

ويجهر بقوله: أمين في الجهرية، وكذلك المأمور، ويقرن المأمور تأميمه بتأمين الإمام معاً، لا تعقيباً له، ويُسكت الإمام سكتة عقب الفاتحة ليثوّب^(١) إليه نفسه.

ويقرأ المأمور الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة، ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام.

ولا يقرأ المأمور السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام.

ولا يزيد الإمام على الثلاثة في تسبيحات الركوع والسجود^(٢)، ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله: اللهم صلّى على محمد.

ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة، ولا يطول على القوم، ولا يزيد دعاؤه في التشهد الأخير على قدر تشهاده وصلاته على رسول الله ﷺ.

(١) أي يرجع نفسه بعد ذهابه. ونفسه بفتح السين.

(٢) أقول: إن كان يصلّي لجماعة غير محصورين؛ وإنما فله أن يزيد على الثلاث، إذا كانوا راضين كما تقدم أهـ محمد.

وينوي الإمام عند التسليم السلام على القوم، وينوي
ال القوم بتسليمهم جوابه.

ويبلث الإمام ساعة بعد ما يفرغ من السلام، ويُقبل
على الناس بوجهه، ولا يلتفت إن كان خلفه النساء
لينصرفن أولاً.

ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام^(١).

(١) أقول: فكم نرى ونشاهد أخطاء ظاهرة في المسلمين، وزهداً
بيتاً في المصليين، فلا يكاد الإمام يُتم السلام الثاني من صلاته
حتى يحصل خلل كبير من سرعان انصراف المقتدين، قبل أن
يشاركون إمامهم بالدعاء بتأمينهم عليه، راجين قبول صلاتهم،
ورفع أعمالهم، وما ذاك إلا لحبنا الدنيا، وانصرافنا عن الآخرة،
فظواهرُنا تكشف عن سوء بواعظنا فلا حول ولا قوة إلا بالله.
اللهم طهر قلوبنا من كل وصف يبعدنا عن محبتك ومشاهدتك
حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. اهـ محمد.

دليل رفع اليدين خارج الصلة

عن سلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنه - قال رسول الله ﷺ:
إن ربكم حَمِيٌّ كريم يستحي من عبده، إذا رفع يديه أن يردهما
صفرأً. أخرجه الأربعة إلا النسائي وصححه الحاكم.
وعن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله ﷺ:
إذا مد يديه في الدعاء، لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه.
أخرجه الترمذى وله شواهد منها حديث ابن عباس عند أبي داود =

.....
= وغيره ومجموعها يقضي أنه حسن. انظر: بلوغ المرام بباب الذكر
والدعاة.

رفع اليدين في الصلاة

وأما رفع اليدين في القنوت فليس فيه نص، والذي يقتضيه المذهب أنه لا يرفع لأن النبي ﷺ لم يرفع إلا في ثلاثة مواطن: في الاستسقاء.
والاستنصار.
وعشية عرفة.

ولأنه دعاء في الصلاة، فلم يستحب له رفع اليد كالدعاء في التشهد. وذكر القاضي أبو الطيب الطبرى في بعض كتبه أنه لا يرفع اليد، وحکى في التعليق أنه يرفع اليد، والأول عندي أصح. وأما غير الصحيح من الفرائض فلا يقتضي فيه من غير حاجة فإن نزلت بالمسلمين نازلة قنعوا في جميع الفرائض.
انظر المذهب للإمام الشيرازي ٨٢ / ١.

وقال في كفاية الأخيار ١ / ٧١ :
والسنة أن يرفع يديه، ولا يمسح وجهه لأنه لم يثبت، قاله البهقى . ولا يستحب مسح الصدر بلا خلاف بل نص جماعة على كراحته اهـ.

أقول: إنما أطلت الحديث حول هذا الموضوع لأن بعض الإخوان في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام اختلفوا في هذا فمن منكر ومن مجيز، وهذا أمر لا =

وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله، واليمين أحَبُّ إِلَيْهِ.

ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح؛ بل يقول:

اللهم اهدنا، ويجهر به، ويؤمِّن القوم، ولا يرفعون
أيديهم إذ^(١) لم يثبت في الأخبار.

ويقرأ المأموم بقية القنوت من قول: إنك تقضي ولا
يُقضى عليك.

ولا يقف المأموم وحده، بل يدخل الصف، أو يجر
إلى نفسه غيره.

ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم على الإمام في أفعاله، أو

= يقتضي الشدة من أحله ولا الخلاف فيه، وضياع الزمن في سبيله. فمن رفع فلا ينكر عليه الرفع، ومن أسبل لا يؤمر بالرفع. سواء كان في الصلاة أو خارجها. والله أعلم فحرره أهـ محمد.
(١) قال الإمام الجرجاني في كتابه فتح العلام ص ٢٦٦ في الطبعة القديمة، عند قوله: [فروع].

يسن رفع اليدين في القنوت على الصحيح؛ كما يسن في الأدعية خارج الصلاة.

وقيل: لا يسن فيه قياساً على غيره من أدعية الصلاة كدعاء الافتتاح والتشهد. أهـ.

يساويه^(١)، بل ينبغي أن يتأخر، ولا يهوي إلى الركوع إلا إذا انتهى الإمام إلى حد الركوع، ولا يهوي إلى السجدة ما لم تصل جبهة الإمام إلى الأرض^(٢).

(١) فإن تقدم عليه أو سواه، فاته ثواب الجمعة في الركن الذي تقدم عليه أو سواه فيه مع الكراهة، والتقدم عليه أشد كراهة.

صلاة الرغائب

(٢) يكره الاجتماع على صلاة الرغائب التي تفعل في رجب في أول جمعة منه، وأنها بدعة، وما يحتاله أهل الروم من نذرها لتخريج عن النفل والكراهة فباطل اهـ.

قلت: وصرح بذلك في البزارية كما سيدكره الشارح.
وقد بسط الكلام عليها شارح المنية، وصرح بأن ما روی فيها باطل موضوع، وبسط الكلام فيها، خصوصاً في الحلية.
وللعلامة نور الدين المقدسي فيها تصنیف حسن سماه «ردع الراغب عن صلاة الرغائب» أحاط فيه بغالب كلام المتقدمين والمتأخرین عن علماء المذاهب الأربعه اهـ.

انظر حاشية ابن عابدين ٤٦١ / ١

وقد قال الإمام النووي في فتاوى ط ٤ / ٦٢ أما صلاة الرغائب:
هي بدعة قبيحة منكرة أشد إنكاراً، مشتملة على منكرات فيتين
تركها والإعراض عنها. وهذا نصه وقد بسط الحديث عنها،
فارجع إلى الكتاب لتزداد إيضاحاً، فهو من تحقيقنا والحمد لله.
أقول: لقد تسرّب إلى نفوس بعض السُّلَجِ من المسلمين الذين لا
فقه لهم في مثل هذه المفاهيم، التي سهر عليها أهلها، =

.....
.....
.....

= ونخلوها كما ينخل الدقيق، وبينوا سقيمها من صحيحها،
وعليها من سليمها، وقدموها لقمة سائحة لمن أراد الوصول إلى
الحقيقة.

وإذا بمثل هؤلاء يقولون: إن الإمام الغزالى قد ذكرها في كتابه
«الإحياء» والعلماء المنكرين لها ليسوا بأعلم منه. فهذا جهل
عظيم، وبهتان كبير.
فما منا إلا ردَّ وردَّ عليه، إلا صاحب هذا المقام، فالعصمة حق
الأئمَّاء.. .

لقد سخر الله لخدمة كتاب الإحياء كرامة لصاحب «الإمام
العربي» جزاه الله خيراً في بين الأحاديث التي ذكرت فيه، وخدم
الكتاب خدمة جيدة يُشكِّر عليها ويؤجر.
فإنَّ إماماً لا يُختلف في فضله، وعلو قدره، وليس هذا انتقاداً له،
رضي الله عنه وفعنا به، وحشرنا في ركابه، ولكن للعلم
تخصص، كما أن للطلب الحديث مثلاً تخصصاً، فالذى
تخصص بالقلب لا يُسأَل عن العين وبالعكس فاسأَلوا أهل الذكر
إن كنتم لا تعلمون.. .

فأسأل الله تعالى أن تقع هذه الكلمة موقع القبول والإقناع، وأن
نرجع في أمورنا كلها للعلماء الفضلاء. لا أرباب العاطفة فإني
سمعت أحد المدرسين في بلدتنا حلب يطعن الإمام العربي في
درسه العام ويخطئه، ولهذا قد أتيت بلهجة حارة، وعبارات
قاسية غيرَةٌ على العلم، وذبَا عن العلماء. اهـ محمد.

آدَابُ الْجُمُعَةِ^(١)

اعلم أن الجمعة، عيد المؤمنين، وهو يوم شريف
خص الله عزّ وجلّ به هذه الأمة.

(١) قال صاحب العهود المحمدية ١٣٦ :

أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ: أن نواظب على المبادرة إلى حضور صلاة الجمعة، بحيث نصلِي السنة التي قبلها قبل صعود الإمام المنبر، اهتماماً بأمر الله عز وجل لنا بقوله: «إِذَا نَوَى إِلَيْكُمْ الصَّلَاةُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَيْهِ ذِكْرَ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ» يعني والشراء، ولو كتم محتاجين إلى ذلك، إلا أن تبلغوا مرتبة الاضطرار.

وسمعت شيخي علياً الخواص - رحمه الله تعالى - يقول: يدخل الناس الجنة على حسب سرعة مبادرتهم لحضور الجمعة، وحسب بُطئهم.

فمن حضر المسجد أولاً دخل الجنة أولاً، ومن حضر ثانياً، دخل الجنة بعده وهكذا . . .

ويقاس بالجمعة في ذلك المسارعة للكل خير؛ والله أعلم.
وقد صار غالب الناس يُدخل به، فلا يكادون يحضرون إلا بعد أن يصعد الإمام المنبر.

* وبعضهم يفوته سماع الخطبين.

* وبعضهم تفوته الركعة الأولى.

=

وفي ساعة مُبْهَمَةٌ لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله تعالى فيها حاجةً إلا أعطاه إياها^(١).

فاستعدّ لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب، وبكثرة التسبيح، والاستغفار عشية الخميس؛ فإنها ساعة توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة.

وانو صوم يوم الجمعة، لكن مع السبت أو الخميس، إذ جاء في إفراده نهي.

* وبعدهم يفوته رکوع الثانية! ويصلحها ظهراً!
وكل ذلك أصله قلة الاهتمام بالدين! ولو أنه وعد بدینارين حضر قبل الوقت، وترك كلّ عائق دون ذلك. اه باختصار.

(١) عن عمرو بن عوف المُزني - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئاً إِلَّا أَتَاهُ إِلَيْهِ»، قالوا: يا رسول الله: أَيْ سَاعَةٍ هِيَ؟

قال: هي حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها.
رواه الترمذى وابن ماجه كلامهما من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وقال الترمذى: حديث حسن غريب.
وروى عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

«الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغلق ما يكون الناس». رواه الأصبهانى.

فإذا طلع عليك الصبح فاغتسل، فإن غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم^(١) أي ثابت مؤكّد.

ثم تزيّن بالثياب البيضاء، فإنها أحبُّ الثياب إلى الله تعالى^(٢).

(١) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم».

رواه مسلم وغيره

ومعنى واجب: أي متأكد في حقه؛ كما يقول الرجل لصاحبه: حرقك واجب علي، أي متأكد، لأن المراد الواجب الشرعي المعقاب عليه.

وقيل: كان واجباً في صدر الإسلام فنسخ بقوله عليه الصلاة والسلام: من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل.

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: إن الغسل يوم الجمعة ليس الخطايا من أصول الشعر استثناؤاً.

رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقافتان.

(٢) لخبر: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم». وفي رواية:

«البسوا الثياب البيضاء فإنها أطهر وأطيب».

نعم؛ محل فضيلته في غير أيام الولح ونحوه: من كل ما يخشى منه تدنيسه، وفي غير أيام العيد. وإنما هو أغلى في العيد =

واستعمل من الطيب أطيب ما عندك، وبالغ في تنظيف بدنك : بالحلق، والقص، والتقليم، والسواك، وسائر أنواع النظافة، وتطييب الرائحة.

= أفضل، وإن لم يكن بياضاً، ولو وافق يومها يوم العيد، روعي العيد فيلبس الأغلى لأنه زيتها أكد لأنها لجميع الناس، ويلبس الأبيض ما صبغ نسجه. ورده في التحفة.

اهـ بشري الكريم ١٠/٢

أقول: ليس البياض فضيلة من الفضائل، وثياب يحبها الله ويثنى على صاحبها أطيب الثناء؛ ولكن الحكم ليس على ظاهره فهو يختلف باختلاف البلاد والأماكن، ويختلف باختلاف الفصول، والأزمان، والمناسبات: من أعياد، وأفراح، وأعراس، أو استقبال وفود، ووجهاء وغير ذلك.

فالاقطان الحارة التي يغلب فيها شدة الحر، فيتفق الحكم معها في أغلب الأوقات كما هو مشاهد، والأقطان الباردة على العكس من ذلك، فكيف يتحمل البياض مع الثلوج المتراكفة، والبرد القارس.

ثم أيام الأعياد وغيرها ينظر إلى الثياب ما كان أغلاها ثمناً، وأعلاها جوداً وأجملها شكلاً، مراعاة للناس كي يسلم من انتقاد لأمور تافهة ليست جوهرية، والله يعلم المفسد من المصلح. وإنما الأعمال بالنيات، فليتبه لهذا فإنه دقيق ومع ذلك حرر هذا الموضوع ورزقت التوفيق. اهـ محمد

ثم بَكَرَ إِلَى الْجَامِعِ، وَاسْعَى إِلَيْهَا عَلَى الْهَبَنَةِ وَالسَّكِينَةِ،
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

«مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى، فَكَأَنَّمَا قَرَبَ بَدْنَهُ، وَمَنْ
رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي
السَّاعَةِ الْثَالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَبَ كَبْشًا، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ
الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ
الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَبَ بَيْضَةً .

قَالَ: إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِّيَتِ الصَّحْفُ، وَرُفِعَتِ
الْأَقْلَامُ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الْذِكْرَ »^(١).

وَيَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى قَدْرِ بَكُورِهِمْ إِلَى الْجَمَعَةِ^(٢).

(١) رواه مالك، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذني،
والنسائي، وابن ماجه: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ إلا أنه
قال:

حضرت الملائكة يستمعون الذكر. ولم يذكر طويت الصحف
ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر.

(٢) عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: قال عبدالله:
سارعوا إلى الجمعة فإن الله تعالى يرزق إلى أهل الجنة في كل
يوم الجمعة في كثيرون كافور، فيكونون منه في القرب على قدر =

ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول، فإن
اجتمع الناس فلا تخطط رقابهم، ولا تمر بين أيديهم وهم
يصلون^(١).

= تสารعهم، فيحدث الله لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك، ثم يرجعون إلى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم، قال: ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو برجلين يوم الجمعة قد سقااه، فقال عبد الله: رجالان وأنا الثالث إن شاء الله أن يبارك في الثالث.

رواه الطبراني في الكبير.

وأبو عبيدة: اسمه عامر ولم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقيل: سمع منه.

(١) وروي عن معاذ بن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم».

رواه ابن ماجه، والترمذى وقال: حديث غريب، والعمل عليه عند أهل العلم.

وروي عن أبي الجهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المار بين يدي المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه».

قال أبو النضر: لا أدرى قال: أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة؟ رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والناسائى، وابن ماجه.

واجلس بقرب حائط، أو أسطوانة، حتى لا يمروا بين يديك. ولا تقدح حتى تصلي التحية، والأحسن أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة خمسين مرّة سورة الإخلاص، ففي الخبر: من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرَى له^(١).

ولا ترك التحية وإن كان الإمام يخطب^(٢)؛ ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الأنعام، والكهف، وطه، ويس، فإن لم تقدر فسورة يس والدخان وألم السجدة، وسورة الملك.

ولا تدع قراءة هذه السور ليلة الجمعة، وفيها فضل

(١) أخرجه الخطيب في الرواية عن مالك من حديث ابن عمر، وقال: غريب جداً ولا أعرف له وجهًا غير هذا، وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك وقال: لا بصح ..

(٢) ومن دخل لصلاة الجمعة والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين لخبر مسلم: جاء سليمان الغطافي يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فجلس.

فقال له: يا سليمان! قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما! ثم قال: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين ولتجوز فيهما. اهـ من الإقناع.

كثيرٌ، ومن لم يُحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الإخلاص، وإكثار الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم خاصةً.

ومهما خرج الإمام فاقطع الصلاة والكلام، واستغله بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها، ودع الكلام رأساً في الخطبة، ففي الخبر:

«إن من قال لصاحبه والإمام يخطب: أنصت فقد لغا، من لغا فلا جمعة له»^(١).

أي لأن قوله: أنصت، كلام، في يعني أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ. ثم اقتد بالإمام كما سبق، فإذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلّم سبع مرات، والإخلاص سبعاً، والمعوذتين سبعاً، فذلك يعصّك من الجمعة إلى الجمعة الأخرى، ويكون حرزاً لك من الشيطان، وقل بعد ذلك:

اللهم يا غني يا حميد، يا مبدىء يا معيد، يا رحيم

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قلت لصاحب يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب فقد لغوت». رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه وابن خزيمة.

يا ودودُ، أغنني بحالك عن حرامك، وبطاعتك عن
معصيتك، وبفضلك عمن سواك^(١).

ثم صلَّى بعد الجمعة ركعتين، أو أربعاً، أو ستة، مثني
مثني. فكل ذلك مروي عن رسول الله ﷺ في أحوال مختلفة.

ثم لازم المسجد إلى المغرب، أو إلى العصر، وكن
حسن المراقبة للساعة الشريفة فإنها مهمَّة في جميع اليوم،
فحساك أن تدركها وأنت خاشع لله متضرع.

ولا تحضر في الجامع مجالس الْحِلْقَنْ، ولا مجالس
القصاصِ؛ بل مجلس العلم النافع، وهو الذي يزيد في
خوفك من الله تعالى، وينقص من رغبتك في الدنيا.

فكُل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل
أعوَدُ^(٢) عليك منه، فاستعد بالله من علم لا ينفع.

(١) قال في إعانة الطالبين: ٩٢/٢ في باب الجمعة: ويسن أن يقرأ
عقب سلامه من الجمعة قبل أن يثنى رجليه، وفي رواية: قبل
أن يتكلم، ثم ذكر المسبعتين وقال: من قرأها غفر له ما تقدم
من ذنبه؛ إلى أن ذكر زيادات ولم يخرجه.

قال في مراقي العبودية: رواه الحافظ المنذري عن أنس
رضي الله عنه.

(٢) أَنْفَع.

وأكثِر الدعاء عند طلوع الشمس، وعند الزوال، وعند الغروب، وعند الإقامة. وعند صعود الخطيب المنبر، وعند قيام الناس إلى الصلاة، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات.

واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قلَّ، فتجمعُ بين الصلاة، والصوم، والصدقة، والقراءة، والذكر، والاعتكاف، والرباط.

واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصةً لآخرتك فعساه أن يكون كفارةً لبقية الأسبوع.

* * *

آدَابُ الصِّيَام^(١)

لا ينبغي أن تقتصر على صوم رمضان، فترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفردان، فتحسر

(١) قال صاحب العهود المحمدية ٢٠٠/١ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ، أن يكون معظم محبتنا للصوم من حيث كون الله تعالى قال : [الصوم لي] لا من حبَّة أخرى : كطلب الثواب، أو تكفير خطيئة ونحو ذلك، فإن من عمل الله

إذا نظرت إلى الصائمين، كما تنظر إلى الكوكب الدرّي
وهم في أعلى عليةن.

والأيام الفاضلة التي شهدت الأخبار بفضلها وشرفها،
وبجزالة الثواب في صيامها:

= تعالى كفاه هم الدنيا والآخرة، وأعطاه ما لا عين رأت، ولا
أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فضلاً عن الثواب،
وتكمير الخطايا وغيرهما من الأغراض النفسانية في الدنيا
والآخرة، ولم يبلغنا عن الله تعالى أنه قال في شيء من
العبادات: إنه له خالصاً إلأا الصوم، فلو لا مزيد خصوصية ما
أضاف إليه.

وسمعت شيخي علياً الخواص - رحمه الله تعالى - يقول: معنى
قوله تعالى: الصوم لي، يعني من حيث إنه صفة صمدانية
ليس فيه أكل ولا شرب، ولذلك أمر الصائم أن لا يرفث، ولا
يفسق، ولا يقول الهجر من الكلام؛ أبداً مع الصفة الصمدانية
التي تليس بنظير اسمها. اهـ.

وقال سفيان بن عيينة في معنى قوله تعالى:
كل عمل ابن آدم له إلأا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به.
قال: إذا كان يوم القيمة يحاسب الله تعالى عبده، ويؤدي ما عليه
من المظلوم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلأا الصوم،
فيحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظلوم، ويدخله بالصوم
الجنة. اهـ.

يوم عرفة لغير الحجاج^(١) ويوم عاشوراء^(٢) والعشر

(١) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال:

سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ .
قال: «يُكَفِّرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَّةُ وَالْبَاقِيَّةُ».

رواه مسلم وللaptop له، وأبو داود، والنسائي ، وابن ماجه ،
والترمذني ولفظه:

أن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن
يُكَفِّرُ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ».

(٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم
عاشوراء؟ فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَّةُ».

رواه مسلم وغيره ، وابن ماجه ولفظه قال: صيام يوم عاشوراء إني
احتسب على الله أن يكفر السنة التي بعدها .
أي يمحوا الله ذنوب عام تفضلاً منه سبحانه لعظم هذا اليوم
عند الله تعالى .

قال الإمام النووي :

اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء اليوم سُنة ليس بواجب .
أقول :

وحديثه متسلسل فانا الفقير العاجز أخذته عن شيخي الشيخ
عيسى البیانوی وهو عن شیخه حتى النبي ﷺ . اهـ . محمد .
وقال أبو حنيفة: كان واجباً في أول الإسلام . اهـ .

**الأول من ذي الحجة^(١)، والعشر الأول من المحرم^(٢)،
ورجب^(٣)، وشعبان^(٤).**

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أيام العمل فيها أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». أخرجه الترمذى وابن ماجه.

(٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والترمذى والنسائي.

(٣) أقول: أما بخصوص رجب فلم أقف فيه على حديث يخصه بالصوم: كله أو بعضه، ولكن رجب من الأشهر الحرم، وجميع أشهر الحرم مظان الصوم، وهي أوقات فاضلة، والصوم هو من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى. اهـ محمد.

(٤) عن أسماء بن زيد - رضي الله عنها - قال: قلت: يا رسول الله! لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟.

قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يُرفع عملى وأنا صائم. رواه النسائي.

أقول: أما ما يفعله بعض الصالحين من صوم رجب وشعبان كليهما متتابعين فلم يرد في السنة شيء من ذلك، إلا أنه عليه الصلاة والسلام كان يكثر من الصوم فيهما - ولا سيما شعبان - كما في صحيح مسلم.

وصوم الأشهر الحرم من الفضائل، وهي: ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم، ورجب؛ واحدٌ فرد، وثلاثة سردد وهذه في السنة.

وأما في الشهر: فأول الشهر، وأوسطه، وآخره، والأيام البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر^(١).

وأما في الأسبوع في يوم الاثنين، والخميس، والجمعة^(٢). فتكفّر ذنوب الأسبوع بصوم الاثنين، والخميس، والجمعة.

(١) عن ميمونة بنت سعد - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله أفتنا عن الصوم؟ فقال:

«من كل شهر ثلاثة أيام من استطاع أن يصومهن؛ فإن كل يوم يُكفر عشر سيّرات، وينقى من الإثم كما يُنقى الماء الثوب». رواه الطبراني في الكبير.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:

«صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله».

رواية البخاري ومسلم.

(٢) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبب أن يُعرض عملك وأنا صائم».

=

وذنوبُ الشهْر تُكَفَّر باليوم الأول من الشهْر، واليوم الأوسط، واليوم الآخر، والأيام البيض.

وتُكَفَّر ذنوبُ السَّنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة، ولا تظنِ إذا صمت أن الصوم هو تركُ الطعام والشراب والواقع فقط! فقد قال عليه السلام:

«كُمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لِهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا جُوعٌ وَعَطْشٌ»^١.

بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى؛ بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره، واللسان عن النطق بما لا يعنيك، والأذن عن الاستماع إلى

= رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب.

في رواية عنه أنه كان يصوم الاثنين والخميس.

فقيل يا رسول الله! إنك تصوم الاثنين والخميس؟.

فقال: إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيما لك كل مسلم، إلا مهتجرين يقول: دعهما حتى يصطلحا.

رواوه ابن ماجه ورواته ثقات.

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له، والنمساني، وابن خزيمة في صحيحه،

والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري إلا أنه قال:

رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع.

وفي رواية: رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش.

ما حرم الله. فإن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين، وكذلك تكفل جميع الجوارح كما تكفل البطن والفرج، ففي الخبر:

«خمس يُفطرن الصائم.

الكذب.

والغيبة.

والنميمة.

والنظر بشهوة.

واليمين الكاذبة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ:

«إنما الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرث، ولا يفسق، ولا يجهل، فإن امرأ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم»^(٢).

(١) رواه الديلمي في مستند الفردوس في الضعفاء عن أنس رضي الله عنه إلا أنه قال:

خمس خصال يفطرن الصائم، وينقضن الوضوء.

أقول: ينبغي الحذر من هذه الأمور ولو كان الخبر ضعيفاً لما فيها من الأضرار المحبطة للأعمال. أهـ محمد.

(٢) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، =

ثم اجتهد أن تُنْقِطَرْ على طعام حلال، ولا تستكثِرْ فتزيد
على ما تأكل كلَّ ليلة لأجل صيامك.

فلا فرق إذا استوفيت ما تعتاد أن تأكله دفعة أو دفعتين،
وإنما المقصود كسر شهوتك، وتضعيف قوتك، لتقوى بها
على التقوى.

فإذا أكلت عشيَّةً ما فاتك ضحوةً فقد تداركت به ما
فاتك! فلا فائدة من صومك وقد ثقلت عليك معدتك.

وما من وعاء أبغضَ إلى الله من بطن مُلِيءَ من حلال،
فكيف إذا كان من حرام؟^(١).

= والنسائي وابن ماجه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: قال الله
عز وجل:

كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصوم
جُنَاحٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يفسق، ولا
يصحب، فإن سأله أحد أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم.
(١) قال بعضهم: من كثر أكله كثر شربه، ومن كثر شربه كثر نومه
ومن كثر نومه كثر تخمه، ومن كثر تخمه قسا قلبه، ومن قسا قلبه
غُرق في الآثام.

وقال بعض الأدباء:

يُمْيِتُ الطعامُ القلبَ إِنْ زادَ كثرةً

= كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه

فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت، فإنه أساس العبادات، ومفتاح القربات.

قال رسول الله ﷺ :

«قال الله تعالى: كُلْ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به»^(١).

وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله عز وجل: إنما

= وإن لبيباً يرتفعي نقص عقله
بأكل لقيماتٍ لقد ضلَّ سعيه

قبيل:

لو سئل أهل القبور ما سبب قصر آجالكم؟
لقالوا: التخمة.

وأخرجه البخاري في كتاب الضعفاء، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع.

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت:
أول بلاءٍ حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشيع، فإن القوم لما
شبعت بطونهم، سمنت أبدانهم، فضعفوا قلوبهم، وجحّمت
شهواتهم.

= (١) رواه «مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلِي، فالصوم لي وأنا
أجزي به»^(١).

وقال ﷺ: «للجنة بابٌ يُقال له الرّيَان، لا يدخله إلا
الصائمون»^(٢).

فهذا القدر يكفيك من شرح الطاعات من بداية الهدایة
إِذَا احتجت إِلَى الزَّكَاة، وَإِلَى الْحَجَّ، أَوْ إِلَى مُزِيدٍ شرح
الصلوة، والصيام، فاطلبه مما أوردناه في كتاب «إِحْياء عِلُوم
الدِّين»^(٣).

(١) رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ إِلا أنه قال:
والذِّي نَفَسَ اللَّهُ بِيَدِه... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيث.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده عن سهل بن سعد -
رضي الله عنه - إِلا أنه قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً... ثُمَّ ذَكَرَ
الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ . اهـ الفتح الكبير ٣٩٩/١

(٣) فرضي الله عنك يا سيدِي يا أبا حامد ورحمك!! يا من
جعلك الله حجة الإسلام، وإمام المسلمين، ومرشد الراشدين،
ومُسْلِك السالكين، ومعلم الطالبين!! كم يا سيدِي في هذا
السفر الصغير حجمه، العظيم قدرُه، من أحكام وحكم؟ حيث
سِرْتَ مع طلابك بطريقة سهلة، وأسلوب بين، وعبارات بعيدة
عن التعقيد، ووعظ يتفق مع كل عصر وجيل، فجزاك الله عن
تلاميذك ومحبيك خيراً. اهـ محمد.

القسم الثاني في اجتناب المعااصي

اعلم أن الدين شطران:

١ - أحدهما ترك المناهي .

٢ - والآخر فعل الطاعات .

وترك المناهي هو الأشد؛ فإن الطاعات يقدر عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدر عليها إلا الصديقون^(١)، ولذلك قال ﷺ :

(١) نعم: كلاما يحتاج إلى جهد جهيد، وصبر مديد؛ ففعل الطاعات، والقيام بالواجبات، ليس سهلاً على الفوس الجمودة، التي هي مظهر الملل والفتور، كما أن ترك المخالفات، والبعد عن الشهوات أقسى عليها وأمر.

ولله در القائل:

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته

= يوم الزحام ونار الحرب تشتعل

.....
ولكن من غض طرفا أو ثني قدماً

عن المحارم ذاك الفارس البطل

فمثال المؤمن: مثال المريض الذي قدم نفسه للطبيب الماهر.
الوقاف الثابت.

فالطبيب بعدما قام بتشخيص المرض، ووقف على العلة، رأى بأن
المريض يحتاج إلى حمية كاملة، مع تناول الدواء.
فالشفاء لا يحصل إلا بهما معاً، فالاختصار على أحدهما لا يوصل
إلى نتيجة صحيحة . . .

وعلماء النفس عبروا عن هذا بالتخلي والتحلي، والأول: مقدم على
الثاني، كما أن الحمية مقدمة على الدواء.

فالتخلي عن النعائص مقدم على التحلي بالفضائل، كما أن حمل
الطيب، لا يفيد مع وجود الأقدار المناقضة له.

فطالبُ الهدایة: لا يكمل حاله، ولا يتم أمره إلا بكليهما، فهو في
صراع دائم بين الترك والفعل، فالترك طريقة التخلی، والفعل
طريقة التحلي، والجهاد الأکبر يقوم على كليهما معاً لا ينفك أحدهما
عن الآخر.

فنسأله تعالى أن يزيل عن قلوبنا الأغیار، ويحملنا بالأنوار، وأن
يظهر نفوسنا من الجهل، ومحلينا بالعلم، وأن يبعدنا عن سفاسف
الأخلاق، ويذكرنا بمحاسن الصفات، حتى نلقى الله بقلب
سلیم، ونفس مرضية مطمئنة، المعنية بقوله سبحانه:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَنَّ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

اهـ محمد.

«المَهَاجِر مَنْ هَاجَر السَّوْعَ، وَالْمُجَاهِد مَنْ جَاهَد هَوَاءً».

واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك، وإنما هي نعمة من الله عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران! وخيانتك في أمانة أودعكها الله غاية الطغيان! فأعضاؤك رعاوك فانظر كيف ترعاها؟.

«فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق^(٢) – أي فضيح – تفضحك به على رؤوس الخلاائق.

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِيمَانُهُمْ وَإِعْمَالُهُمْ ﴾^(٣).

(١) رواه الشیخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) ذلق اللسان من باب طرب أي ذرب. يعني صار حاداً ويقال أيضاً ذلق اللسان بالضم. اهـ مختار.

(٣) من سورة النور، آية: ٢٤.

وقال تعالى : ﴿ الَّيْمَنْ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا آيَدِيهِمْ وَتَشَهِدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١). فاحفظ جميع بَدْنِكَ وَخُصُوصَأَعْضَاءَكَ السَّبْعَةَ ؛ فإنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جَزءٌ مَقْسُومٌ ، وَلَا يَتَعَيَّنُ لِتَلْكَ الأَبْوَابِ إِلَّا مِنْ عَصْيِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ ، وَهِيَ :

- ١ - العين.
- ٢ - والأذن.
- ٣ - والبطن.
- ٤ - واللسان.
- ٥ - والفرج.
- ٦ - واليد.
- ٧ - والرجل.

* * *

١ - حفظ العين

أَمَا العَيْنُ : فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ ، وَتَسْتَعِيَنَّ بِهَا فِي الْحَاجَاتِ ، وَتَنْتَظِرُ بِهَا إِلَى عَجَائِبِ مَلْكُوتِ

(١) من سورة يس، آية ٦٥.

الأرض والسموات، وتعتبر بما فيها من الآيات؛ فاحفظها عن ثلات أو أربع:

- ١ - أن تنظر بها إلى غير مُحْرِم^(١).
 - ٢ - أو إلى صورة مليحة بشهوة.
 - ٣ - أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار^(٢).
-

(١) وله در القائل:

كُلُّ المصائب مُبْدِاهَا من النَّظر
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْبِلُهَا
فِي أَعْيْنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظَرَ فَعَلَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَعَلَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
يَسِّرْ مَقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مَهْجَتَهُ
لَا مَرْحَبًا بِسَرُورِ جَاءَ بِالضُّرِّ

راجع كتابي «سمير المؤمنين» عند تفسير قوله تعالى:

«وَلَا نَقْرِبُوا لِرِزْنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا».

حيث اعتبر النظر من مقدمات الزنى المنهي عن قربها.

(٢) أقول: غمط الناس، وازدواهم، مرض عقيم من أمراض النفس الأمارة: عدوة الله، وعدوة الإنسانية... فالنفس: لا ترضى أن يعلوها أحد: بعلم، أو مال، أو جاه، =

لأنها خلقت من الشر وجلت عليه، فهي في جموح وتمرد لا ترضخ للحق، ولا ترضى به إلا من عصم، وهم على قلة جداً. فيجب على الإنسان - إذا - أن يكون ثبناً، وقاً، شديد المحاسبة لها دقيقها، كي لا توقعه في المهالك فيهلك فإن قلت كيف ينبغي أن يكون النظر إلى الناس؟

أقول: فإن كان هذا الفرد جاهلاً عامياً، فقل لها هذا عصى الله تعالى عن جهل، وأنا عصيته عن علم.

وإن كان أصغر منك سنًا فقل لها: هذا ذنبه أقل من ذنبي.

وإن كان أكبر منك فقل لها: هذا عرف الله قبلني.

وإن كان فقيراً فقل لها هذا ناج الأنبياء والمرسلين الذي ألبس الله لهم وحرمتهم.

وإن كان غنياً فقل لها هذا قد خصه الله بأعمال لا أستطيعها فجزاه الله خيراً وإن كان مغموراً في المعصية، فقل لها: إن الخاتمة مجهرولة والأعمال بخواتيمها وهكذا... .

فحسنُ الظن بالناس فضيلة من أكبر الفضائل، وصفة حميدة من أجل الصفات، مع الاحتراز منهم.

واذكر قول الشاعر الحكيم:

وكلَّ مَنْ لاقِيتَ فالخَضْرَ اعْتَقَدَ

وكلَّ الْبَالِي فاعْتَقَدَ لِيَلَةَ الْقَدْرِ

ولأنَّ تُحْسِنَ الظَّنَ فَتُخْطِئُهُ خَيْرَ مَنْ تُسِيءُ الظَّنَ فَتُصِيبَ.

وسوءُ الظن لا يكون إلا من قلب خبيث.

وقل: اللهم احجبني عن عيوب الناس، وبصرني بعيوب نفسي.

اهـ محمد.

٤ - أو تَطْلِعُ بِهَا عَلَى عِيْبِ مُسْلِمٍ^(١).

* * *

٢ - حفظ الأذن

وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغرى بها إلى البدعة، أو الغيبة، أو الفحش، أو الخوض في الباطل، أو ذكر مساوىء الناس.

(١) عن أبي برزة الأسّلمي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه! ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم! فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه ولو في بيته». رواه أبو داود، والترمذى بسنده حسن.

وفي رواية: صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفضح الإيمان إلى قلبه. لا تؤذوا المسلمين! ولا تغيروهم! ولا تتبعوا عوراتهم! فإنك من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف رحله».

ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. وقيل لعبد الله رضي الله عنه: هذا فلان تقطر لحيته خمراً فقال:

فإنما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، وحكمة أوليائه، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم، والنعيم الدائم.

فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره صار ما كان لك عليك. وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك.

فهذه غاية الخسران، ولا تظن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع، ففي الخبر:

«أن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين»^(١).

* * *

٣ - حفظ اللسان من ثمانية

وأما اللسان: فإنما خلق لك لتكثّر به ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، وترشد به خلق الله تعالى إلى طريقه، وتُنْتَهِر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك.

= إننا قد نهينا عن التجسس؛ ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. اهـ من الناج: ٥ / ٣٠، باختصار.

(١) وجاءت رواية عن الغزالى: المغتاب والمستمع شريكان في الإثم.

فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه، وهو أغلب أعضائك عليك، وعلى سائر الخلق.
ولا يكتب الناس في النار على مناشرهم إلا حصادُ
الستهم^(١)، فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى يكتب في قعر
جهنم! ففي الخبر:

(١) رواه الترمذى وقال: حديث صحيح عن معاذ بن جبل لما قال له: أمسك عليك لسانك.

فقال معاذ: وإنما لمواخذون بما نتكلّم به؟

فقال عليه الصلاة والسلام . . . وذكر الحديث.

قال العلامة ابن حجر على شرح الأربعين عند شرحه لهذا الحديث: أي ما تكلّمت به من الإثم جمع حصيدة، بمعنى محسودة، شبه عليه الصلاة والسلام ما تکسبه الألسنة من الكلام الحرام، بحصائد الزرع، بجامع الكسب والجمع. وشبه اللسان في تكلّمه بذلك بعد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع. ففيه استعارة بالكتابية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحسود، واللسان بالمنجل، تتبعها استعارة ترشيحية؛ لأن الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه.

والحصر في ذلك إضافيٌ، إذ من الناس من يكتب في النار عمله، لا كلامه؛ لكن ذلك خرج مخرج المبالغة في تعظيم جرائم اللسان، كالحج عرفة، أي معظمه ذلك، كما أن معظم أسباب النار الكلام. ففي الحديث الصحيح .

«إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلْمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهُ،
فَيَهُوِي بِهَا فِي قَعْدَ جَهَنَّمِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»^(١).

= من يضمن لي ما بين **لحَيَّه** ورجليه أضمن له الجنة؟ .
وفيه: أن الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله تعالى: لا يُلقى
لها بأَلَّا، يكتب له رضوانه إلى يوم القيمة، وإن الرجل ليتكلّم
بالكلمة من سخط الله تعالى لا يعلم أنها تقع حيث تقع فيكتب
له فيها سخطه إلى يوم يلقاه .
أو قال: يهُوي بها في النار سبعين خريفاً!
وفي الحكمة:

لسانك أسدك، إن أطلقته افترسك، وإن أمسكته حرسك! .
ومن ثمَّ كان أبو بكر رضي الله عنه: يُمسك لسانه ويقول: هذا
الذى أوردني الموارد .
ولله در القائل:

منع اللسان من الكلام لأنَّه
هدف البلاء وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكراً
لا تنسِّه واحمده في الحالات
اهـ.

(١) رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ إلا أن الرواية: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ
بِالْكَلْمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَاساً لِيُضْحِكَ بِهَا الْقَوْمَ، وَإِنَّهُ لِيَقُولَ بِهَا أَبْعَدَ
مِنَ السَّمَاءِ».

رواہ الترمذی وابن ماجہ والحاکم .

وُقْتُلَ شَهِيدًا فِي الْمَعْرِكَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ قَائِلٌ: هَيْنَا لِلْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا يُدْرِيكَ لَعْلَهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُعْنِيهِ»^(١).

فاحفظ لسانك من ثمانية:

١ - الأول الكذب^(٢):

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل، ولا تعود نفسك الكذب هزاً فيدعوك إلى الكذب في الجد، والكذب من

(١) أخرجه الترمذى من حديث أنس مختصرًا وقال: غريب. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلطف المصنف بسند ضعيف إلا أنه قال: ويمنع ما لا يضره.

(٢) أقول: الكذب صفة ذميمة لا تتفق مع الإيمان؛ بل هي علامة المنافقين، إلا أنه يباح في مواطن لضرورة ذلك. الرجل مع امرأته، وفي الحرب، وفي إصلاح بين الناس. روى عن شهر بن حوشب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار؟».

ألا إن كل كذب مكتوب على ابن آدم إلا في ثلاثة:

١ - كذب الرجل امرأته ليرضيها.

٢ - وكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة.

٣ - وكذب الرجل في الإصلاح بين الزوجين.

=

أمهات الكبار، ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك،
وانتفَى قولك، وتزدرِيك الأعْيُن، وتحترقك.

وإذا أردت أن تعرف قُبْح الكذب من نفسك، فانظر
إلى كذب غيرِك وإلى نفرة نفسك عنه، واستحقارك
لصاحبِه، واستقباحك لما جاء به، وكذلك فافعل في جميع
عيوب نفسك، فإنك لا تدري قُبْح عيوبك من نفسك؛ بل
من غيرِك، فما استقبحته من غيرِك يستقبحه غيرِك منك لا
محالة، فلا ترْضَ لنفسك ذلك.

٢ - الثاني الخلف في الوعد:

فإِيَّاكَ أَنْ تَعْدَ بِشَيْءٍ وَلَا تَفِيَ بِهِ؛ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
إِحْسَانَكَ إِلَى النَّاسِ فَعْلًا بِلَا قَوْلٍ، فَإِنْ اضْطُرْتَ إِلَى
الوَعْدِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةً، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ

= فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «لَآخِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَجْوَنَهُمْ إِلَّا
مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» اهـ.

وقال بعضهم: ما قولك في صدق يؤدي إلى النار وكذب يؤدي
إلى الجنة؟ .

وقال بعضهم:
من لم يؤدِ الفرض الدائم، لا يُقبلُ منه الفرض المؤقت، قيل: ما
الفرض الدائم؟ قال: الصدق.

أمارات النفاق وخبائث الأخلاق. قال عليه الصلاة والسلام :

«ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى:

١ - من إذا حدث كذب.

٢ - وإذا وعد أخلف.

٣ - وإذا اثمن خان»^(١).

٣ - الثالث حفظ اللسان من الغيبة :

والغيبة أشدُّ من ثلاثين زنية في الإسلام، كذلك ورد في الخبر^(٢).

ومعنى الغيبة: أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه، فأنت معتابٌ ظالم وإن كنت صادقاً، وإياك وغيبة القراء المراهقين، وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح فتقول: أصلحه الله فقد أساءني وغمّني ما جرى عليه، فسأل الله أن يُصلحنا وإياه، فإن هذا جمعٌ بين خبيثين:

(١) رَسَهُ فِي الْأَيْمَانِ وَأَبُو الشَّيْخِ فِي التَّوْبِعَهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحْجَ وَاعْتَمَرَ وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ. أَهُدْ مِنَ الْفَتْحِ الْكَبِيرِ: ٤٩/٢

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، وابن حبان في الضعفاء، وابن مردوخ في التفسير، من حديث جابر، وأبي سعيد؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: إِيَاكُمْ وَالْغَيْبَةِ فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّنَنِ . ولم يذكر لفظ ثلاثين.

- ١ - أحدهما الغيبة إذ بها حصل التفهم .
- ٢ - والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتحرّج والصلاح، ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله الدعاء، فادع له في السر، وإن اغتممت بسيبه، فعلامته أنك لا تريد فضيحته وإظهار عييه، وفي إظهارك الغمّ بعييه إظهار تعبيه .

ويكفيك زاجراً عن الغيبة قوله تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ﴾^(١).

فقد شبهك الله بأكل لحم الميتة، مما أجدرك أن تحرّز منها^(٢).

(١) من سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) وقيل للحسن البصري: إن فلاناً اغتابك، فبعث إليه طبق حلوا .

وقال: بلغني أنك أهديت إلى حسناتك.

وقال بعضهم:

غيبةُ الخلقِ، إنما تكون عن الغيبةِ عن الحقِ.

وذكرت الغيبة عند عبدالله بن المبارك فقال:

= لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناي .

ويمنعك عن غيبة المسلمين أمرٌ لو تفكرت فيه، وهو أن تنظر في نفسك هل فيك عيبٌ ظاهرٌ، أو باطنٌ؟ وهل أنت مقارفٌ معصيةً: سراً أو جهراً؟ فإذا عرفت ذلك من نفسك، فاعلم أن عجزه عن التزه عما نسبته إليه كعجزك، وعدره كعذرك، وكما تكره أن تُفْتَضَحْ وتنذرك عيوبك، فهو - أيضاً - يكرهه، فإن ستره ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حداداً يمزقون عرضك في الدنيا، ثم يفضحك الله في الآخرة على رؤوس الخلاق يوم القيمة، وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحمامة، ولا عيب أعظم من الحمق، ولو أراد الله بك خيراً لبصرك بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا، غاية غباوتك وجهلك! ثم إن كنت صادقاً في

= وهي : إدام كلاب الناس .
 وهي : تباح في سرت . مجموعة فيما يلي :
 لست غيبة كرر وخذها
 منظمة كأمثال الجوادر
 تظلم واستعن واستفت حذر
 وعرف واذكرون فسوق المجاهر

ظنك فاشكر الله تعالى عليه، ولا تفسد بثلب^(١) الناس والتمضمض في أعراضهم، فإن ذلك من أعظم العيوب.

٤ - الرابع المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام:

فذلك فيه إيزاء للمخاطب، وتجهيل له، وطعن فيه، وفيه ثناء على النفس، وتركيّة لها بمزيد الفطنة والعلم، ثم هو مشوش للعيش، فإنك لا تماري سفيهاً إلا ويؤذيك، ولا تماري حليماً إلا ويقلّيك ويحقد عليك، وقد قال ﷺ :

«من ترك المرأة وهو مبطل بنى الله له بيّنا في رَبِض الجنة، ومن ترك المرأة وهو محق بنى الله له بيّنا في أعلى الجنة»^(٢).

(١) ثلبه: صرّح بالعيوب منه وتنقصه، وبابه ضرب. مختار الصحاح.

(٢) وفي رواية: من ترك الكذب وهو مبطل بُنْيٰ له قصر في رَبِض الجنة، ومن ترك المرأة وهو محق بُنْيٰ له في وسطها، ومن حَسْن خلقه بُنْيٰ له في أعلىها. رواه الترمذى، وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.

وجاءت رواية عن أبي أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم بيّن في رَبِض الجنة لمن ترك المرأة وإن كان محقاً، وبيّن في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيّن في أعلى الجنة لمن حَسْن خلقه». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك : أظهر الحق ولا تُداهن فيه ، فإن الشيطان أبداً يستجرُ الحمقى إلى الشر في معرض الخير ، فلا تكن ضحكةً للشيطان فيسخر بك ، فإظهار الحق مع من يقبله منك ، وذلك بطريق النصيحة في الخفية ، لا بطريق المماراة .

وللنصيحة صفة وهيئه ، يُحتاج فيها إلى تلطف ، وإنما صارت فضيحة ، وصار فسادها أكثر من صلاحها ، ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال ، وعسر عليه الصمت ، إذ ألقى إليهم علماء السوء أن ذلك هو الفضل ، والقدرة على المحاجة^(١) والمناقشة هو الذي يتمدح به ، فغيرُ منهم فراراً من الأسد ، واعلم أن المرأة سبب المقت عند الله وعند الخلق .

٥ - الخامس تزكية النفس :

قال الله تعالى : « فَلَا تَرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
أَنْقَضَ ». ^(٢)

(١) أي المغالبة في الحجة .

(٢) من سورة النجم ، آية : ٣٢ .

وقيل لبعض الحكماء: ما الصدق القبيح؟ .
فقال: ثناء المرأة على نفسه .

إِيَّاكَ أَنْ تَتَعُودَ ذَلِكَ، وَاعْلَمْ أَنْ ذَلِكَ يَنْقُصُ مِنْ قُدْرَكَ
عِنْدَ النَّاسِ، وَيَوْجِبُ مِقْتَكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ
أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ مِنْ قُدْرَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ، فَانْظُرْ
إِلَى أَقْرَانِكَ إِذَا أَثْنَاوا عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ، وَالْجَاهِ،
وَالْمَالِ، وَكِيفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَقْلُهُ طَبْعُكَ؟
وَكِيفَ تَذَمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقُهُمْ؟ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَيْضًا فِي حَالٍ
تَرْزِيقُكَ لِنَفْسِكَ، يَذْمُونَكَ فِي قُلُوبِهِمْ نَاجِزًا، وَسِيُّظْهِرُونَهُ
بِالسِّتْنَةِ إِذَا فَارَقُهُمْ .

٦ - السادس اللعن:

إِيَّاكَ أَنْ تَلْعُنَ شَيْئًا مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ حَيَّانَ، أَوْ
طَعَامَ، أَوْ إِنْسَانَ بَعْيَنِهِ، وَلَا تَقْطُعْ بِشَهادَتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
أَهْلِ الْقِبْلَةِ: بِشَرِيكِ، أَوْ كُفَّرِ، أَوْ نَفَاقِ، فَإِنَّ المُطْلَعَ عَلَى
السَّرَّائِرِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ: لَمْ لَمْ تَلْعُنْ فَلَانًا
وَلَمْ سَكَّتْ عَنْهُ؟! بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعُنْ إِبْلِيسَ طَوْلَ عُمرِكَ، وَلَمْ
تَشَغَّلْ لِسَانِكَ بِذِكْرِهِ لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ، وَلَمْ تُطَالِبْ بِهِ يَوْمَ

القيامة، وإذا لعنت أحداً من خلق الله طولبت^(١)، ولا تذمّن شيئاً مما خلق الله تعالى. فقد كان النبي ﷺ لا يذمّ الطعام الرديء قطّ؛ بل كان إذا اشتهى شيئاً أكله؛ وإلا تركه.

-
- (١) قال المؤلف رحمة الله تعالى في كتابه الإحياء:
أما بعد؛ فإن اللسان من نعم الله عز وجل العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرم، وعظيم طاعته وجرم، إذ لا يستبين الكفر والإيمان، إلا بشهادة اللسان. اهـ.
ثم بين خطره العظيم، وأنه لا نجاة منه إلا بالصمت، وذكر له أربع عشرة آفة. ومنها: اللعن:
إما لحيوان، أو جماد، أو إنسان، وكل مذموم وحرام.
وروى مسلم وغيره:
أن رسول الله ﷺ سمع امرأة من الانصار في بعض أسفاره، تلعن ناقتها حين ضجرت.
فقال عليه الصلاة والسلام:
«خذلوا ما عليها وردوها فإنها ملعونة».
قال عمران بن حصين:
فكانني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرض لها أحد.
أقول: وقد بسطت هذا الموضوع بسطاً جيداً. في كتابي صوت المنبر ٢٣٣/١ فارجع إليه إن شئت الزيادة على هذا.

٧ - السابع الدعاء على الخلق :

احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى، وإن ظلمك فكلُّ أمره إلى الله تعالى، ففي الحديث:

«إن المظلوم ليدعوا على ظالمه حتى يكافنه، ثم يكون للظالم فضلٌ عنده يطالبه به يوم القيمة».

وطوَّل بعض الناس لسانه على الحجاج، فقال بعض السلف: إن الله ينتقم للحجاج من ي تعرض له بلسانه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه^(١).

٨ - الثامن المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس :

فاحفظ لسانك منه في الجد والهزل، فإنه يُرِيق ماء

(١) سئل الإمام النووي في فتاويه: رجل يلعن الحجاج بن يوسف دائمًا، ويحلف أنه من أهل النار، هل هو مخطيء ويحيث أم لا؟.

الجواب: هو مخطيء ولا يحيث؛ لأننا لا نقطع له بدخول الجنة. أقول: وقد فتحت هذا البحث في تعليقي على الكتاب المذكور في الطبعة الخامسة ص ٢٠٥ ونقلت أقوال الأئمة الأعلام حوله، وختمت الموضوع بكلمة جيدة فعد إلى الكتاب تجد ما يسرك إن شاء الله تعالى. اهـ محمد.

الوجه، ويُسقط المهابة، ويستجرُّ الوحشة، ويؤذي القلوب،
 وهو مبدأ اللجاج، والغضب، والتصارم، ويغرس الحقد في
 القلوب، فلا تمازح أحداً، وإن مازحوك فلا تُجهِّم،
 وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وكن من
 الذين إذا مُرُوا باللغو مَرُوا كراماً، فهذه مجتمع آفات
 اللسان، ولا يعينك عليه إِلا العزلة، وملازمة الصمت؛ إِلا
 بقدر الضرورة، فقد كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -
 يضع حجراً في فيه، ليمتنع ذلك من الكلام بغير ضرورة،
 ويشير إلى لسانه ويقول:
 «هذا الذي أوردني الموارد كلها».

فاحترز منه، فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا
 والأخرة.

* * *

٤ - حفظ البطن

وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة، واحرص
 على طلب الحلال، فإذا وجده فاحرص على أن تقتصر منه
 على ما دون الشبع، فإن الشبع يُؤسِّي القلب، ويفسد
 الذهن، ويبطل الحفظ، ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم،
 ويقوّي الشهوات. وينصر جنود الشيطان.

والشَّبُعُ من الْحَلَالِ، مِبْدًا كُلًّا شَرًّا، فَكَيْفَ مِنَ الْحَرَامِ؟
وَطَلْبُ الْحَلَالِ فِرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. وَالْعِبَادَةُ وَالْعِلْمُ مَعَ
أَكْلِ الْحَرَامِ، كَالْبَنَاءُ عَلَى السِّرْجِينِ؛ فَإِذَا قَنَعَتِ فِي السَّيْنَةِ
بِقَمِيصٍ خَيْرٍ، وَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيلِ بِرَغِيفَيْنِ مِنَ الْخَشْكَارِ،
وَتَرَكَتِ التَّلَذِّذَ بِأَطْيَبِ الْأَدْمَ، لَمْ يُعُوْزِكَ مِنَ الْحَلَالِ مَا
يَكْفِيكَ، وَالْحَلَالُ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيقَنَ بِبَوَاطِنِ
الْأَمْوَارِ؛ بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مَا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ، أَوْ تَظَنُّ أَنَّهُ
حَرَامٌ ظَنًا حَصَلَ مِنْ عَلَامَةٍ نَاجِزَةٍ، مَقْدَرَةٍ بِالْمَثَالِ، أَمَا
الْمَعْلُومُ فَظَاهِرٌ، وَأَمَا الْمَظْنُونُ بِعَلَامَةٍ، فَهُوَ مَالُ السُّلْطَانِ
وَعَمَالِهِ، وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبٌ لَهُ إِلَّا مِنَ النِّيَاحَةِ، أَوْ بَيعِ
الْخَمْرِ، أَوِ الرِّبَا، أَوِ الْمَزَامِيرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ آلاتِ اللَّهِ
وَالْحَرَامِ، حَتَّى مَنْ عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا لِهِ حَرَامٌ قَطَعًا فَمَا
تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ - وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا نَادِرًا - فَهُوَ
حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ الْغَالِبُ عَلَى الظَّنِّ، وَمِنَ الْحَرَامِ الْمَحْضِ مَا
يُؤْكِلُ مِنَ الْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ الْوَاقِفِ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ
بِالْتَّفَقَهِ فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ الْمَدَارِسِ حَرَامٌ، وَمَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَة
تُرَدُّ بِهَا شَهَادَتُهُ، فَمَا يَأْخُذُهُ بِاسْمِ الصَّوْفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ
حَرَامٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَارِسِ الشَّبَهَاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي
كِتَابٍ مُفْرَدٍ مِنْ كِتَابِ إِحْيَا عِلْمِ الدِّينِ فَعَلَيْكَ بِطَلْبِهِ، فَإِنْ
مَعْرِفَةُ الْحَلَالِ وَطَلْبُهُ فِرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

٥ - حفظ الفرج

وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى، وكن كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾^(١).

ولا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن الفكر، وحفظ البطن عن الشبهة، وعن الشبع ، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها.

* * *

٦ - حفظ اليدان

وأما اليدان: فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً، وتتناول بهما مالاً حراماً، أو تؤذني بهما أحداً من الخلق، أو تخون بهما في أمانة أو وديعة، وتكتب بهما ما لا يجوز النطق به ..

(١) من سورة المؤمنون ، آية: ٦ .

إن القلم أحد اللسانين، فاحفظ القلم عما يجب حفظ
اللسان عنه.

* * *

٧ - حفظ الرجلين

وأما الرجالان: فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى
حرام، أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم، فالمشي إلى
السلطانين الظلمة من غير ضرورة وإلهاق، معصية كبيرة،
فإنه تواضع لهم، وإقرار لهم على ظلمهم، وقد أمر الله
تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾^(١).

وإن كان ذلك لسبب طلب ما لهم فهو سعي إلى
الحرام. وقد قال ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيَ صَالِحٍ ذَهَبَ ثُلَثَا دِينِهِ»^(٢).

(١) من سورة هود، آية: ١١٣.

(٢) الحديث موقوف على ابن مسعود من قوله؛ ولم يذكر لفظ صالح =

هذا في غنى صالح، فما ظنك بالغنى الظالم؟ وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك، نعمة من نعم الله تعالى عليك، فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله تعالى أصلاً، واستعملها في طاعة الله تعالى.

واعلم أنك إن قصرت فعليك يرجع وباله، وإن شمرت فإليك ترجع ثمراته، والله غني عنك وعن عملك، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة.

وإياك أن تقول: إن الله كريم رحيم، يغفر الذنوب للعصاة؛ فإن هذه الكلمة حق أريد بها باطل! وصاحبها ملقب بالحمامة بتلقيب رسول الله ﷺ حيث قال:

«الكَيْسُ^(١) مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعِمِّلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَا هَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(٢).

واعلم أن قولك هذا يُضاهي قول من يريد أن يصير

= إلا أنه قال: من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه. اهـ من أسمى المطالب.

(١) الكيس: هو العاقل الفطن، ومعنى دان نفسه: أي قهرها وأذلها.

(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن شداد بن أوس. وفي رواية: والعاجز.

فقيهاً في علوم الدين، واشتغل بالبطالة وقال: إن الله كريم رحيم، قادر على أن يُفِيض على قلبي من العلوم، ما أفضه على قلوب أنبائه، وأوليائه من غير جهد، وتكرر، أو تعليق! وهو كقول من يريد مالاً: فترك الحراثة، والتجارة، والمكاسب، وتعطل وقال: إن الله كريم رحيم، وله خزائن السموات والأرض، وهو قادر على أن يُطْلعني على كثر من الكنوز أستغنى به عن الكسب، فقد فعل ذلك لبعض عباده، فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمدقاًهما وسخرتَ منها، وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته، صدقاً حقاً، فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعي لها، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١).

ويقول: ﴿إِنَّمَا تُخَرِّجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ويقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٣) ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَمِيرٍ﴾^(٤).

(١) من سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) من سورة التحرير، آية: ٧.

(٣) من سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

فإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتماداً على كرمه، فكذلك لا تترك التزود للأخرة، ولا تقترن^(١)، فإن ربَّ الدنيا والآخرة واحد، وهو فيهما كريم رحيم، ليس يزيد له كرم بطاعتك، وإنما كرمه في أن يُسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم المخلد، بالصبر على ترك الشهوات أيام قلائل، وهذا نهاية الكرم، فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين، واقتدي بأولي العزم والنُّهى^(٢) من الأنبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع؛ وليت من صام، وصلى، وجاهد، واتفقى، غُفر له، فهذه جُمل ما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب، فإن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب، وهو تقوى الباطن، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح لها الجسد كُله، فاشتغل بصلاحه لتصلح به جوارحك.

* * *

(١) أي لا تلن في العمل وتكتسلي فيه بعد شدتك ونشاطك.

(٢) أي العقول السليمة التي لم تلوثها معصية، وهو بضم النون وفتح الهاء.

القول في معاishi القلب

اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة، وتطهير القلب من رذائلها طويل، وسبب العلاج فيها غامض، وقد اندرس بالكلية علمه وعمله، لغفلة الخلق عن أنفسهم، واستغلالهم بزخارف الدنيا، قد استقصينا ذلك كله في كتاب إحياء علوم الدين في ربعة المهلكات، وربيع المنجيات، ولكننا نحذرك الآن ثلاثة من خبائث القلب، هي الغالبة على متفقها العصر! لتأخذ منها جذرك، فإنها مهلكات في أنفسها، وهي أمها لجملة من الخبائث سواها وهي :

- ١ - الحسد.
- ٢ - والرياء.
- ٣ - والعجب.

فاجتهد في تطهير قلبك منها، فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربعة المهلكات، فإن عجزت عن هذا، فأنت عن غيره أعجز! ولا تظن أنك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم، وفي قلبك شيء من الحسد، والرياء، والعجب، وقد قال ﷺ :

«ثلاث مهلكات:

- ١ - شَحْ مِطَاعٌ .
- ٢ - وَهُوَ مُتَّبِعٌ .
- ٣ - وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ»^(١) .

أما الحسد: فهو متشعبٌ من الشَّحِ؛ فَإِنَّ الْبَخِيلَ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَى غَيْرِهِ.

والشَّحِيجُ: هو الذي يَبْخُلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ - وَهِيَ فِي خَزَائِنِ قَدْرَتِهِ لَا فِي خَزَائِنِهِ - عَلَى عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَشَحَّهُ أَعْظَمُ!

والحسودُ: هو الذي يُشَقُّ عَلَيْهِ إِنْعَامُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ قَدْرَتِهِ عَلَى عَبْدِ مِنْ عَبِيدِهِ:

بِعِلْمٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ مَحِبَّةٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، أَوْ حَظٍ مِنْ الْحَظْوَنَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لِيَحِبُّ زَوْلَهَا عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَصْلَحةٌ، وَهَذَا مَتْهِيُ الْخَبْثِ، فَلَذِلْكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَاطِبَ»؟؟.

(١) رواه الطبراني في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه، وقال: حديث ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.
وفي رواية:

.....
= «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل». رواه الديلمي في مسند الفردوس، عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

قصة طرفة في الحسد:

يُحكي أن رجلاً كان يغشى بعض الملوك فيجلسه الملك بجانبه ويبلغ في إكرامه، فحسده رجل من حاشية الملك، وأراد أن يمكر به، فقال للملك: إن هذا الذي يقوم بحذائه، وتسمع لحديثه، يزعم أنه أبخر - أي كريه رائحة الفم - فقال له الملك:

وما دليلك على ذلك؟

قال: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لثلا يشم منك ريح البخر.

فقال الملك:

انصرف حتى انظر في الأمر. فخرج الحاسد من عند الملك، وصنع طعاماً شهياً، وجعل فيه ثوماً، ودعا جليس الملك حتى أكل وأكثر، وكان على موعد من الملك، فدخل على الملك وجلس بحذائه، ولكنه وضع يده على فمه، لثلا يتاذى الملك بريح الثوم.

فقال الملك في نفسه:

ما أرى فلاناً إلا صدق؟!

وكان الملك لا يكتب بخطه كتاباً إلا وفيه جائزة! فكتب له كتاباً إلى أحد عماله قائلاً:

إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه، واسلخه، واحشر جلده تبنا، وابعث به إليّ.

= فأخذ الكتاب وهو يحمل في قلبه فرحاً للجائزة، فلما خرج من قصر الملك، وإذا بالحاسد على باب القصر فقال:
ما هذا الكتاب؟! .

قال: خطأ الملك لي بصلة...
فقال:

هيه لي بارك الله فيك. فقال:
هو لك... فأخذته ومضى به إلى العامل، فقال العامل بعدما وقف على كتاب الملك:
إن الملك يأمرني بذبحك وسلخت!! .
فقال:

مهلاً! فإن الكتاب ليس لي؛ فالله الله في أمري!! حتى تراجع الملك.

فقال العامل:
ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تباً
وبعث به إلى الملك! وعاد المحسود إلى الملك كعادته،
فعجب الملك وقال:

ما فعل الكتاب؟ فقال:

لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له.
فقال له الملك:

إنه ذكر لي أنك تزعم إني أبخر. قال:
ما قلت ذلك؟! .

قال الملك:

فليم وضعت يدك على فيك؟ قال:

والحسود: هو المعدُّب الذي لا يُرحم، ولا يزال في عذاب دائم في الدنيا، فإن الدنيا لا تخلو قطًّا عن خلقٍ كثير من أقرانه وعارفه ومن أنعم الله عليهم: بعلم، أو مالٍ، أو جاء، فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر؛ بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان، ما لم يُحب لسائر المسلمين ما يُحب لنفسه؛ بل ينبغي أن يساوِهم في السراء والضراء، فالمسلمون كالبنيان الواحد، يشدُّ بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد، إذا اشتكتى منه عضوٌ اشتكتى منه سائر الجسد.

فإن كنت لا تُصادف هذا في قلبك، فاشتغالك بطلب التخلص عن الهلاك، أهم من اشتغالك بنوادر الفروع، وعلم الخصومات.

وأما الرياء: فهو الشركُ الخفي، وهو أحد الشِّركين، وذلك طلبه متزلةً في قلوب الخلق، لتناول بها العجاه والحسنة.

= لأنَّه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمـه.
قال: صدقت، ارجع إلى مكانك فقد كُـفيَّ المـسيءِ إـساءـته؛
وقال هذه الجملة:
«الله در الحـسد ما أـعـدـهـ، بدأ بـصـاحـبـهـ فـقـتـلـهـ». اـهـ. من الإـحـيـاءـ
باختصارـ.

وحبُّ الجاه من الهوى المتبَع ، وفيه هلك أكثرُ الناس ، فما أهلك الناس إِلَّا الناس^(١) ، فلو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن أعمال العبادات ، ليس يحملهم عليها إِلَّا مراءةُ الناس ، وهي محطة للأعمال ، كما ورد في الخبر:

«إِن الشهيد يُؤْمِر به يوْم القيمة إِلَى النار ، فيقول: يا رب استشهادتُ في سبيلك! فيقول الله تعالى: أردتَ أن يُقال: فلان شجاع! وقيل ذلك ، وذلك أجرك». وكذا يقال: للعالم ، وال الحاج ، والقاريء^(٢).

وأما العجب ، والكبر ، والفخر ، فهو الداء العضال ، وهو نظر العبد إِلَى نفسه بعين العزة ، والاستعظام ، وإِلَى غيره بعين الاحتقار!!.

(١) وقد قيل في هذا: إقبال الناس ليل ، وإدبارهم نهار. أو إقبالهم ظلمة وإدبارهم نور.

(٢) رواه أبو هريرة في الثلاثة:

١ - المقتول في سبيل الله .

٢ - والمتصدق بماله .

٣ - والقاريء لكتاب الله تعالى؛ فإن الله تعالى يقول لكل واحد منهم: كذبت. والحديث رواه مسلم.

ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا، كما قال إبليس
اللعين: ﴿أَنَاٰ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَتُهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

وثرته في المجالس الترفع والتقدم، وطلب التصدر
في المحاورة والاستكاف من أن يُردَّ كلامه عليه.

* * *

دواء الكبر

والمتكبر هو الذي إن وُعظَ أَنفُ، أو وُعظَ عَنْفُ، وكلُّ
من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر؛
بل ينبغي لك أن تعلم أن الخيرَ مَنْ هو خيرٌ عند الله في دارِ
الآخرة، وذلك غيب! وهو موقف على الخاتمة؛ فاعتقادك
في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض؛ بل ينبغي أن لا
تتظر إلى أحدٍ إلا وترى أنه خيرٌ منك، وأن الفضل له على

(١) من سورة الأعراف، آية: ١٢. أما إذا قال: أنا، للتعریف عن
نفسه فجازز، لأن سيدنا يوسف عليه السلام قال لأخواته: «أنا
يوسف وهذا أخي» اهـ محمد.

نفسك؛ فإن رأيت صغيراً قلت: هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني.

وإن رأيت كبيراً قلت: هذا قد عبد الله قبلي فلا شك أنه خير مني.

وإن كان عالماً قلت: هذا قد أعطي ما لم أعطه، وبلغ ما لم أبلغ، وعلم ما جهلت، فكيف أكون مثله؟.

وإن كان جاهلاً قلت: هذا عصى الله بجهل، وأنا عصيته بعلم، فحجّة الله علىيَّ أكدرُ، وما أدرى به يختتم لي وبه يختتم له؛ وإن كان كافراً قلت: لا أدرى عسى أن يُسلِّم ويُختتم له بخير العمل، وينسل بإسلامه من الذنوب كما تسُل الشعْرُ من العجين. وأما أنا - والعياذ بالله - فعسى أن يضلني الله فأكفر فيختتم لي بشر العمل.

فيكون غداً هو من المقربين، وأنا أكون من المعدّين فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير مَنْ هو كبير عند الله تعالى، وذلك موقف على الخاتمة، وهي مشكوك فيها، فيشغلك خوفُ الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى، فيقينك وإيمانك في الحال لا ينافق تجويزك التغيير في الاستقبال، فإن الله مقلب القلوب.

يهدى من يشاء، ويضل من يشاء.

فتأمل أيها الراغبُ في العلم هذه الخصال! واعلم أن أعظم الأسباب، في رسوخ هذه الخبائث في القلب، طلب العلم، لأجل المباهاة والمناقشة، فالعامي: بمعزل على أكثر هذه الخصال، والمتفقه مستهدف لها وهو معرض للهلاك بسببها، فانظر أيّ أمرٍ أَهْمَّ؟ أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات، وتشتغل بإصلاح قلبك، وعمارة آخرتك، أم الأَهْمَّ أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر، والرياء، والحسد، والعجب، حتى تَهْلِك مع الهالكين^(١).

واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أهمات خبائث القلب، ولها مغرس واحد وهو حُبُّ الدنيا، ولذلك قال رسول الله ﷺ .

«حُبُّ الدنيا رأس كُلُّ خطيئة»^(٢).

(١) ولقد ذكرت في كتابي «الصحوة القريبة» ٨٢/١ الطبعة العاشرة الكبير: حده: وتفاصيله في مختلف طبقات الناس، وعلاجه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من روایة الحسن مرسلاً.

ومع هذا فالدنيا مزرعةٌ للأخرة، فمن أخذ من الدنيا
بقدر الضرورة، يستعين به على الآخرة، فالدنيا مزرعته،
ومن أراد الدنيا ليتنعم بها، فالدنيا مهلكته، فهذه نبذة يسيرة
من ظاهر علم التقوى، وهي بداية الهدایة، فإن جربت
نفسك فيها وطاوعتك عليها فعليك بكتاب إحياء علوم
الدين لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى، فإذا عمرت
بالتقوى باطن قلبك، فعند ذلك ترتفع الحجبُ بينك وبين
ربك، وتنكشف لك أنوارُ المعارف، وتتفجر من قلبك
ينابيعُ الحِكمَة، وتتضخُّ لك أسرارُ المُلْكِ والملائكة،
ويتيسر لك من العلوم ما تستحرق به هذه العلوم المحدثة،
التي لم يكن لها ذكرٌ في زمان الصحابة رضي الله عنهم
والتابعين .

وإن كنت تطلب العلم من القيل، والقال، والمراء،
والجدال! فما أعظم مصيبك وما أطول تعبك! وما أعظم
حرمانك وخسارتك! فاعمل ما شئت، فإن الدنيا التي تطلبها
بالدين لا تسلم لك، والأخرة تسلبُ منك.

ومن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعاً.
ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعاً.

فهذه جمل الهدایة إلى بداية الطريق في معاملتك
مع الله تعالى، بأداء أوامره واجتناب نواهيه .

وأشير عليك الآن بجملٍ من الآداب لتوأخذ بها نفسك
في مخالطتك مع عباد الله تعالى، وصحبتك معهم في
الدنيا.

* * *

آدَابُ الصَّحْبَةِ

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك،
وسفرك، ونومك، ويقظتك؛ بل في حياتك، وموتك، هو:
ربُك وسيدك، ومولاك، وخالقك، ومهما ذكرته فهو
جليلُك، إذ قال الله تعالى:

«أَتَأْجِلِيسُ مِنْ ذِكْرِي»^(١)!

ومهما انكسر قلبك حُزناً على تقصيرك في حق دينك،
 فهو صاحبك وملازمك؛ إذ قال الله تعالى:

«أَنَا عِنْدَ الْمُكْسِرَةِ قَلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي»^(٢)!

(١) رواه الديلمي عن عائشة مرفوعاً، وعن البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! أقرب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى أنا جليس من ذكري.

(٢) قال في المقاصد: ذكره في البداية للغزالى، وقال القارى عقبه:

فلو عرفَه حقَّ معرفتِه، لاتخذته صاحبًا، وتركَت الناس
جانبًا، فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك، فإياك أن
تخلَّي ليك، ونهارك عن وقت، تخلو فيه لمولاك، وتتلذذ
معه بمناجاتك !! وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة
مع الله تعالى .

وآدابها :

- ١ - إطراق الرأس.
- ٢ - غضن الطرف.
- ٣ - وجع الهم.
- ٤ - ودؤام الصمت.
- ٥ - وسكون الجوارح.
- ٦ - ومبادرة الأمر.
- ٧ - واجتناب النهي.
- ٨ - وقلة الاعتراض على القدر.
- ٩ - ودؤام الذكر.
- ١٠ - وملازمة الفكر.

= ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية وتمامه: وأنا
عند المندرسة قلوبهم لأجلني . ولا أصل لهما في المرفوع اهـ
كشف الخفاء .

- ١١ - وإثمار الحق على الباطل.
- ١٢ - والإياس عن الخلق.
- ١٣ - والخضوع تحت الهيبة، والانكسار تحت الحياة، والسكون عن جيل الكسب ثقةً بالضمان.
- ١٤ - والتوكُّل على فضل الله، معرفةً بحسن الاختيار.
- وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك، فإنه آداب الصحابة مع صاحب لا يفارقك! والخلق يفارقونك في بعض أوقاتك.

* * *

آدَابُ الْعِلْم

وإِن كُنْت عَالَمًا فَآدَابُ الْعِلْم سَبْعَةُ عَشَرَ:

- ١ - الاحتمال.
- ٢ - ولزوم الحلم.
- ٣ - والجلوس بالهيبة على سُمْتِ الوقار مع إِطْرَافِ الرأس.
- ٤ - وترك الْكِبْرِ على جميع العباد؛ إِلَّا على الظلمة زجراً لهم عن الظلم.
- ٥ - وإِيَّاش التواضع في المحافل والمجالس.
- ٦ - وترك الْهَذْلِ والدُّعَابَةِ.
- ٧ - والرفق بالمتعلم.
- ٨ - والتأنّي بالمتعرّف.
- ٩ - وإِصلاح البليد بحسن الإِرشاد.
- ١٠ - وترك الحرد عليه.
- ١١ - وترك الأنفة من قول لا أدرى.
- ١٢ - وصرف الهمة إلى السائل.
- ١٣ - وتفهم سؤاله.
- ١٤ - وقبول الحجة.
- ١٥ - والانقياد للحق بالرجوع إليه عن الهاوة.

١٦ - ومنع المتعلم عن كل علم يضره، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى.

١٧ - وصَدُّ المتعلم - عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى، ومؤاخذة نفسه أولاً بالتقوى ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله، ويستفيد ثانياً من أقواله.

* * *

آدَابُ المَتَعَلِّم

وإن كنت متعلماً: فأدب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام، وأن يُقللَ بين يديه الكلام ولا يتكلَّم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأل أولاً ما لم يسأل ذن، ولا يقول في معارضة قوله، قال: فلان بخلاف ما قلت، ولا يُشير عليه بخلاف رأيه، فيرى أنه أعلمُ بالصواب من أستاذه، ولا يشاور جليسه في مجلسه، ولا يلتفت إلى الجوانب؛ بل يجلس مطرقاً ساكناً متأنياً كأنه في الصلاة، ولا يُكثر عليه عند ملئه، وإذا قام، قام له، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله، ولا يسأله في طريقه إلى أن يصل إلى منزله، ولا يُسيء الظنَّ به في أفعالِ ظاهِرُها منكراً عنده، فهو أعلم بأسراره، وليذكر

عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ
أَخْرَقْنَا إِلَّا نُغَرِّ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْنَا شَيْئًا إِمَّرًا﴾^(١).

* * *

آدَابُ الْوَلَدِ مَعَ وَالِدَيْهِ

وإن كان لك والدان، فأدبُ الولد مع الوالدين: أن يسمع كلامهما، ويقوم لقيامهما، ويمثل أمرهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يرفع صوته فوق صوتهم، ويلبِّي دعوتهما، ويحرص على مرضاتهما، ويختضن لهما الجناح، ولا يمْنَ عليهم بالبُرّ لهما، ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما شُرْزاً، ولا يقطب وجهه في وجوههما، ولا يسافر إلا بإذنهما.

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حرك ثلثة أصناف:

- ١ - إِما أصدقاء .
- ٢ - إِما معاريف .

(١) من سورة الكهف، آية: ٧٢.

٣ - وإنما مجاهيل، فإن بُليت بالعوام المجهولين،
فأدب مجالسة العامة: ترك الخوض في حديثهم، وقلة
الإصغاء إلى أرجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء
اللفاظهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم وال الحاجة إليهم، والتنبيه
على منكراتهم باللطف، والنصح، عند رجاء القبول منهم.

* * *

شُرُوط الصُّحَبة

وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان:
إحداهما: أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصدقة فلا
تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصدقة. قال رسول الله ﷺ:
«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالف». (١)
فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم، وصاحبك
في أمر دينك ودنياك، فراع فيه خمس خصال:

(١) رواه أبو داود، والترمذى، وحسنه البىهقى، والقضاعى عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتساھل ابن الجوزى فأوردہ فى الموضوعات: ومن ثم خطأه الزركشى وتبعه فى الدرر الـ .
كشف الخفاء .

١ - الأولى: العقل، فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك، وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل: خير من الصديق الأحمق.

وقال علي رضي الله عنه:
لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين وآخاه
يقيس المرء بالمرء إذا هو ما شاه
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

٢ - الثانية: حسن الخلق، فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة، وقد جمعه علامة العطاردي رحمة الله في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بني! إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحته زانك، وإذا قعدت بك مؤنة مانك^(١)، اصبح من إذا مددت يدك للخير مدها، وإن

(١) أي احتمل مؤنته وقام بكفایتك.

رأى منك حسنة عذّها، وإن رأى منك سيئة سدها،
اصحب مَنْ إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمراً أعانك
ونصرك، وإن تنازعتما في شيء آخرك».

وقال علي رضي الله عنه رجزاً:
إن أخاك الحق من كان معك

ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعنك
شتت فيك شمله ليجمعك^(١)

٣ - الثالثة: الصلاح، فلا تصحب فاسقاً مصراً على معصية
كبيرة، لأن من يخاف الله لا يُصِرُّ على معصية كبيرة، ومن لا
يخاف الله لا تُؤْمِن غوايَلُه؛ بل يتغير بتغيير الأعراض
والآحوال. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «وَلَا نُنْطِعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

(١) قال ابن المبارك رحمه الله تعالى:
إذا صحت فاصحب صاحباً
ذا حباء وعفاف وكرم
قوله للشيء: لا، إن قلت: لا
وإذا قلت: نعم، قال: نعم

عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَيْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ^(١).

فاحذر صحبة الفاسق، فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تُزيل عن قلبك كراهية المعصية، ويَهُونُ عليك أمرُها، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة، لا لفهم لها، ولو رأوا خاتماً من ذهب، أو ملبوساً من حرير على فقيه لاشتَدَ إِنْكَارُهُمْ عليه، والغيبة أشدُّ من ذلك.

٤ - الرابعة: لا تصحب حريصاً، فصحبةُ الحريص على الدنيا سُمٌّ قاتل، لأن الطياع مجبولة على التشبه والاقتداء به؛ بل الطبع يُسرق من الطبع من حيث لا يدرى، فمجالسةُ الحريص تزيد في حرصك، ومجالسةُ الزاهدين تزيد في زهدك.

٥ - الخامسة: الصدق، فلا تصحب كذاباً، فإنك منه على غرور، فإنه مثلُ السراب ^(٢) يقربُ منك البعيدُ، ويُبعِدُ منك

(١) من سورة الكهف، من آية: ٢٩.

(٢) هو الذي تراه نصف النهار وقت الظهيرة أيام الصيف كأنه ماء وما هو بماء.

القريب، ولعلك ت عدم احتمال^(١) هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد أمرتين:

- ١ - إما العزلة والانفراد فإن فيها سلامتك.
- ٢ - وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أن الإخوة ثلاثة:
 - ١ - أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين.
 - ٢ - وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن.
 - ٣ - وأخ تستأنس به، فلا تراع فيه إلا السلامة من شره، وفتنته، وخبثه.

والناس ثلاثة:

- ١ - أحدهم مثله مثل الغذاء الذي لا يُستغني عنه.
- ٢ - والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.
- ٣ - والآخر مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يُبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجب مداراته إلى الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها، وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبنه فتجتنبه.

(١) في المخطوط: اجتماع.

فالسعيد: من وُعظَ بغيره، والمؤمن: مرآة المؤمن.
وقيل لعيسى عليه السلام: من أذهبك؟ قال:
«ما أذهبني أحدٌ؛ ولكن رأيْتُ جهل العاجل فاجتنبته».

ولقد صدق صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ، فلو
اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم،
 واستغثوا عن المؤدبين.

* * *

حُقُوقُ الصُّحْبَةِ

الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحابة، فمهما انعقدت
الشركة، وانتظمت بينك وبين شريكك الصحابة، فعليك
حقوق يوجها عقدُ الصحبة، وفي القيام بها آداب، وقد
قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

«مَثْلُ الْأَخْوَيْنِ مَثْلُ الْيَدِيْنِ تَفْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى»^(١).

(١) رواه السلمي في آداب الصحابة، وأبو منصور الديلمي في مستند
الفردوس من حديث أنس وفيه: أحمد بن محمد بن غالب
الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من =

ودخل أجمة^(١) فاجتني منها سواكين أحدهما معوج، والآخر مستقيم، وكان معه بعض أصحابه، فأعطاه المستقيم، وأمسك لنفسه المعوج، فقال: يا رسول الله! إنك أحق مني بالمستقيم فقال ﷺ:

«ما من صاحب يصاحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا سُئل عن صحبته! هل أقام فيها حَقَّ الله تعالى أو أضاعه؟»^(٢).

وقال ﷺ:

«ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحدهما إلى الله تعالى أرقهما بصاحبه»^(٣).

= الحزيات؛ إلا أنه قال: مثل الأخرين إذا التقى. اهـ من الإحياء انظر تخرير العراقي إن شئت.

(١) الأجمة: الحصن، والجمع آجام، والواحد أجم، اهـ النهاية.

(٢) لم أقف على سنته. مع أن المؤلف ذكر في كتابه الإحياء في باب الأخوة، عدة أحاديث ولم يتعرض لذكر هذا الحديث. والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد بلفظ: ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحدهما إلى الله أشدّهما حباً لصاحبه. اهـ إحياء علوم الدين، تخرير العراقي: ١٥٩/٢.

وآداب الصحبة: الإيثار بالمال، فإن لم يكن هذا، فبذل الفضل من المال عند الحاجة، والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحراج إلى التماس، وكتمان السر، وستر العيوب، والسكوت عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه، وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنيعه في وجهه، وأن يذب^(١) عنه في غيابه إذ تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه، وأن ينصحه باللطف والتعریض إذا احتاج إليه، وأن يغفو عن زلته وهفتوه، فلا يعتب عليه، وأن يدعوه في خلوته في حياته وبعد مماته، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجته ويروح قلبه^(٢) من مهماته، وأن يظهر الفرج بجميع ما يُتاح له من مساره، والحزن بما يناله من مكارهه، وأن يضمّر مثل ما يظهره فيكون صادقاً في وده سراً وعلانية، وأن يبدأ بالسلام عند إقباله، وأن يوسع له في المجلس، ويخرج له

(١) الذب: المنع والدفع، وبابه رد. اهـ مختار الصحاح.

(٢) في المخطوط: نفسه.

من مكانه، وأن يشيعه عند قيامه، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه، وترك المداخلة في كلامه. وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به، فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه، فأخوه نفاق! وهي عليه في الدنيا والآخرة وبال^(١). فهذا أدبك في حق العوام المجهولين، وفي حق الأصدقاء المؤاخين.

(١) لقد قدم لأمته عليه الصلة والسلام درساً عملياً في الإيثار على النفس في كل ما تشهيه وتحبه.

فالإيثار: صفة من صفات الصديقين، ويستجلب القلوب النائية، ويزرع فيها المحبة والإلفة فيقرب البعيد ويزيل ما في النفوس من إحن، وأضغان.

فكم فيه من فوائد، وفضائل، لو طقه الفرد، وحققه الإنسان. حتى رب الأسرة مع أسرته والأbowان مع الأولاد، والزوج مع زوجته، والصديق مع صديقه، والجليس مع جليسه: سواء كان في الطعام والشراب أو في المجالس الخاصة وال العامة، أو في الحديث، وفي كل ما فيه للنفس حظ، لساد المجتمع الإسلامي، وعاد متماسك البنيان، مرصوص الصف، متين الجوانب.

والإيثار زمن الحاجة، أشدُّ تأثيراً، وأعظم أجراً. والله در القائل: ليس العطاء من الفضول سماحة

حتى تجود وما لدبك قليل

ولقد ذكرت في كتابي «سمير المؤمنين» الطبعة السادسة ص ١٦٨ =

آدَابُ الْمَعَارِيفِ^(١)

وأما القسم الثالث: وهم المَعَارِيفُ، فاحذر منهم،
فإنك لا ترى الشَّرَّ إِلَّا مَنْ تَعْرَفُهُ. أما الصَّدِيقُ فِي عِينِكَ،

= تحت عنوان «البطولات الرائعة في الإيثار» فإن رغبت في الزيادة من هذا فارجع إليه تجد ما يسرك. اهـ محمد.

(١) رحمة الله تعالى رحمة واسعة، فقد ختم كتابه بأدب اجتماعي عظيم، له قيمة وأهميته وهو: «صحبة من تعرفه» وهو أمر لا بد منه، ولا يستغني أحد عن غيره؛ لأن الإنسان كما قيل: «مدني بالطبع» يحتاج لكل ما تتطلبه الحياة: من طعام وشراب، وكساء، ومسكن.

والحياة قائمة على التعاون بين أفراد بني الإنسان. فكل خادم لغيره شعر بذلك أم لم يشعر، ولذا تناول المؤلف هذا الموضوع من جميع أطراوه، وأتاه من جميع جوانبه، فلم يترك واحدة إلا وأظهرها، ولا حكماً إلا وبينه، ولا أدباً إلا وأوضحه، وشرح أمر الأصدقاء شرعاً وفياً، حتى أثبت لدى الحقيقة أن لا صديق يُغُول عليه، ولكن المداراة مطلوبة، والحذر محمود مع حسن الطنب بهم.

والإمام الغزالى يتحدث عن ز منه المليء بالصالحين والصلحاء، فقلما تجد في صفهم منحرفاً، لأن المركب مقوده بيد العلماء العاملين، والزمام لم يصل إليه أحد من العابثين، ثم دارت

وأما المجهول فلا يتعرض لك، وإنما الشر كله من المعاريف الذين يُظهرون الصدقة بألستهم، فاقلل من المعاريف ما قدرت، فإذا بُليت بهم، في مدرسة، أو جامع، أو مسجد، أو بلد، أو سوق، فيجب أن لا تستحرر منهم أحداً، فإنك لا تدرى لعله خيراً منك، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك؛ لأن الدنيا صغيرة

= الأيام دورتها فقد المسلمين زمام الأمر، فانتشر الفساد والمفسدون وسد الأمر لغير أهله، فاستفحـل الداء، وعم الإلحاد، وظهرت الإباحية في صحف المسلمين، وتغلبت الشهوات على القلوب فأطـلـات جمرة الإيمان والله در القائل: هذا زمانٌ لقد سادت أراذله

فقلنا لهم هذه أيامكم سودوا
بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت
فالشـر طبعـ لهم والخـير تقليـد

فأطلـتـ كلمـتيـ هذهـ فيـ هـذـاـ الحـقـلـ الفـسيـحـ لأنـيـ القـارـيـ علىـ
كلـمةـ الإمامـ الغـزالـيـ فيـ خـتـامـ الحـسـنـ لـكتـابـهـ هـذاـ وـيقـفـ عـلـىـ كلـ
مقطـعـ مـقاـطـعـهـ، وـيتـفـهـمـ كـلـ عـبـارـاتـهـ. فـإـنـ النـورـ يـشعـ
بـيـنـ هـذـهـ الأـسـطـرـ الـذـهـبـيـةـ. وـالـإـلـحـاـنـ فـائـضـ عـلـىـ قـسـماتـهـ
المـحـمـدـيـةـ.

فاـقـرأـ... ياـ أـخـيـ!! بـتـمـعـنـ وـإـقـانـاـ، وـسـلـ الـحـفـظـ مـنـ النـفـسـ
وـالـشـيـطـانـ، معـ سـلـامـةـ الإـيمـانـ، وـادـعـ لـيـ بـحـسـنـ الخـتـامـ. اـهـمـحمدـ.

عند الله صغيرٌ ما فيها^(۱)، ومهما عظمَ أهلُ الدنيا في قلبك
فقد سقطتَ من عين الله تعالى ، وإياكَ أن تبذل لهم دينك

(۱) روي عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله تعالى عنه - قال:
قال رسول الله ﷺ :

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ، ما سقى كافراً منها
شربة ماء.

رواہ الترمذی

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول:
إلا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه - أي
قاربه من الطاعة - وعالماً و المتعلماً.

وعن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ، مر بالسوق
والناسُ كفتته، فمر بجدي أسلَّكَ ميتٍ فتناوله فأخذته بأذنه ثم
قال:

أيكم يُحب أن هذا له بدرهم؟

قالوا:

ما نحب أنه لنا بشيءٍ . وما نصنع به؟

قال:

أتحبون أنه لكم؟ قالوا:

والله لو كان حيًّا كان عيًّا أنه أسلَّكَ فكيف وهو ميت! قال:
فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم.

رواہ مسلم

قوله: «كفتته» أي جانبيه . والأسلَّك: الصغير الأذن.

لتنا به من دنياهم، فلم يفعل ذلك أحد إلا صغر في
 أعينهم، ثم حُرم ما عندهم، وإن عادوك فلا تقابلهم
 بالعداوة، فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم، فيذهب
 دينك في عداوتهم! فيطول عناوئك معهم، ولا تسكن إليهم
 في حال إكرامهم إليك، وثنائهم عليك في وجهك،
 وإظهارهم المودة لك، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد
 في المائة واحداً! ولا تطمع أن يكون لك في العلن والسرّ
 واحد، ولا تعجب إن ثبلك^(١) في غيبتك، ولا تغضب
 منه، فإنك إن أصفت وجدت في نفسك مثل ذلك حتى في
 أصدقائك وأقاربك؛ بل في أستاذك ووالديك، فإنك
 تذكرون في الغيبة بما لا تشاهدون به، فاقطع طمعك عن
 مالهم، وجاههم، ومعونتهم، فإن الطامع في الأكثر خائب
 في المال، وهو ذليل لا محالة في الحال، فإذا سألت واحداً
 حاجةً فقضها، فاشكر الله تعالى واشكره، وإن قصر فلا
 تعاته، ولا تشكه^(٢) فتصير عدواً، وكن كالمؤمن يطلب
 المعاذير، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب، وقل: لعله
 قصر لعذر له لم أطلع عليه، ولا تظن في أحد منهم ما لم تتوسم

(١) ثبة: صرخ في العيوب فيه. وبابه ضرب.

(٢) أي لا تخبر الناس بسوء فعله بك.

فيه أولاً مخايل القبول وإلا لم يستمع منك، وصار خصماً
 عليك، فإن أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعليم من
 كلٌ أحد، فلا تعلمهم، فإنهم يستفيدون منك علماءً،
 ويُصبحون لك أعداء، إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها
 عن جهل منهم، فاذكر الحقَّ بلطف من غير عُنْف، وإذا
 رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي حبك إِليهم، وإذا
 رأيت منهم شرًا فكِلْهُم إلى الله تعالى، واستعذ بالله من
 شرِّهم، ولا تعاتبهم، ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقي وأنا
 فلان ابن فلان؟! وأنا الفاضل في العلوم! فإن ذلك من كلام
 الحمقى، وأشدُ الناس حماقة من يزكي نفسه، ويشتري عليها.
 وأعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك، إلا لذنب سبق
 منك، فاستغفر الله من ذنبك.

وأعلم أن ذلك عقوبةً من الله تعالى لك وكن فيما بينهم
 سميعاً لحقهم، أصمًّ عن باطلهم، نطوقاً بمحاسنهم،
 صموماً عن مساويعهم، واحذر مخالطة متفقهة الزمان، لا
 سيما المشتغلين بالخلاف والجدال، واحذر منهم، فإنهم
 يتربصون بك بحسدهم ربَّ المتنون^(١) ويقطعون عليك

(١) المتنون: حوادث الدهر، والمنتون أيضاً المنية لأنها تقطع المدد
 وتقص العدد، وهي مؤنة، وتكون واحدة وجمعاً. اهـ من
 المختار.

بالظنون، ويتجاهلون وراءك بالعيوب، يُحصون عليك عشراتك في عشرتهم حتى يَجْهُوك^(١) بها في غيظهم ومناظرتهم، لا يُقْبِلُون^(٢) لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة، ولا يسترون عليك عورة، يحاسبونك على التقصير والقطمير^(٣)، ويحسدونك على القليل والكثير، ويحرّضون عليك الإخوان بالنميمة، والبلاغات والبهتان، إن رضوا ظاهرهم الملئ، وإن سخطوا فباطنهم الحمق! ظاهرهم ثياب، وباطنهم ذئاب.

هذا حُكْمٌ ما قطعْتُ به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى، فصاحتهم خسنان، ومعاشرتهم خذلان، هذا حكم من يُظهر لك الصدقة، فكيف من يجاهرك بالعداوة؟! قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى :

فاحذر عدوك مرة
واحذر صديفك ألف مرة

(١) جبهه بالمكره: استقبله به وبابه قطع. اهـ مختار الصحاح.

(٢) يقال: أقاله البيع إقالة وهو فسخه، وربما قالوا: قاله البيع بغير ألف وهي لغة قليلة. اهـ مختار الصحاح.

(٣) النمير: النقرة التي في ظهر النواة.
القطمير: شق النواة، أو القشرة التي فيها.

فَلَرَبِّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ
فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمَضْرَةِ

وَكَذَلِكَ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :
عَدُوكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ
فَلَا تَسْتَكثِرْنَ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ
يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ
وَكَنْ أَيْضًا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءِ :

إِلَقْ صَدِيقَكَ وَعَدُوكَ بِوجْهِ الرِّضَا، مِنْ غَيْرِ مَذْلَةٍ وَلَا
هَبَيْةٍ مِنْهُمَا، وَتُوقِرُ^(۱) مِنْ غَيْرِ كَبْرٍ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذْلَةٍ،
وَكَنْ فِي جَمِيعِ أَمْوَالِكَ فِي أَوْاسِطِهَا، فَكَلَا طَرْفَيِّ الْأَمْوَالِ
ذَمِيمٌ، كَمَا قِيلَ :
عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأَمْوَالِ فَإِنَّهَا
طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصَّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَلُكُ فِيهَا مُفْرَطًا أَوْ مُفَرِّطًا
فَإِنَّ كَلَا حَالَ الْأَمْوَالِ ذَمِيمٌ

(۱) أَيْ كَنْ حَلِيمًا عَنِ الْلَّقَاءِ.

ولا تنظر في عطفيك^(١) ولا تُكثِر الالتفاتَ، ولا تقف
 على الجماعاتِ، وإذا جلست فلا تستوفز^(٢)، وتحفظ من
 تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل
 أسنانك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك
 وتنحْمُك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي
 والشاؤب في وجوه الناس، وفي الصلاة وغيرها، ول يكن
 مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً، واصغ إلى الكلام
 الحسن من حديثك من غير إظهار تعجب مُفرط، ولا تسأله
 إعادةه! واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تُحدِّث
 عن إعجابك بولدك، وشعرك، وكلامك، وتصنيفك، وسائر
 ما يخصك، ولا تتصنعن تصنعن المرأة في التزيين، ولا تبتذل
 بتذل العبد^(٣)، وتتوَّق كثرة الكحل، والإسراف في الدهن،
 ولا تُلْحَ في الحاجات^(٤)، ولا تشجع أحداً على الظلم، ولا
 تُعلم أحداً من أهلك وولديك فضلاً عن غيرهم مقدار

(١) بكسر العين، أي جانبيك يميناً وشمالاً، بأن تنظر شيئاً بلحاظ عينيك.

(٢) أي فلا ترفع رجليك غير مطمئن.

(٣) أي لاتمتهن في ثيابك، فالتأigli ممقوت، والتوسط محمود.

(٤) أي في طلبها من الناس؛ بل ارفع حاجتك إلى مولاك فهو الذي يتولاك.

مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم! وإن رأوه كثيراً لم
تبلغ رضاهم، واجفهم من غير غُنف، ولن لهم من غير
ضعف، ولا تهازل أمّتك ولا عبده فيسقط وقارُك^(١)، وإذا
خاصمت فتُقْرَرْ، وتحفَّظ من جهلك وعجلتك، وتُنْكَرْ في
حُجْتك ولا تُكثِر الإشارة بيدك، ولا تكثِر الالتفات إلى
ورائلك، ولا تَجْهُز على ركبتيك^(٢) وإذا هدأ غضبك فتكلّم،
وإذا قربك السلطان فكن على حد السنان.

وإياك وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء^(٣) ولا تجعل
مالك أكرم من عرضك^(٤).

(١) وهذا الخلق مطلوب من جميع الناس، ولذا قيل: لا تظهر بياض
أسنانك للإنسان، فيُظْهِر لك سواد دبره.

(٢) أي لا تجلس على ركبتيك حال الخصم.

(٣) أي احذر الصاحب الذي يصحبك وقت صحتك وغناك، فإذا
دارت بك الدوائر وانتزوت عنك الدنيا، وأصبت بالمرض ولئ

عنك وأدبر وكأنه لم يعرفك: أهـ محمد.

(٤) وكن كما قال هلال بن العلاء:

لما عفتُ ولم أُخْتَدِ على أحدٍ

أرْحَتْ نفسي من هم العداواتِ

إني أحْبَيْ عدوِيْ عند رؤيَتِه

لأدْفع الشَّرَّ عنِي بالتحَيَّاتِ =

وهذا القدر يا فتى يكفيك من «بداية الهدایة» فجرب
بها نفسك فإنها ثلاثة أقسام:

- ١ - قسم في آداب الطاعات.
- ٢ - قسم في ترك المعاصي.
- ٣ - قسم في مخالطة الخلق.

وهي جامعة لجميع معاملة العبد مع الخلق، فإن رأيتها
مناسبة لنفسك، ورأيت قلبك ماثلاً إليها راغباً في العمل
بها، فاعلم أنك عبد نور الله قلبك بالإيمان، وشرح به
صدرك، وتحقق أن لهذه البداية نهاية، ووراءها أسراراً

= وأظهر البشر للإنسان أبغضه
كانه قد ملا قلبي مسراً
ولست أسلم من لست أعرفه
فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء دواه المحضر تركهم
وفي الجفاء لهم قطع الأخوات
فالسلام الناس تسلم من غوايدهم
وكن حريصاً على كسب المودات
وخلق الناس واصبر ما بليت بهم
أصم أبكم أعمى ذا تقنيات
اهـ

وأغواراً وعلوماً ومكاشفات، وقد أودعناها في كتاب «إحياء علوم الدين» فاشتغل بتحصيله، فإن رأيت نفسك تستقل العمل بهذه الوظائف، وتترك هذا الفن من العلم، وتقول لك نفسك: أني ينفعك هذا الفن في محافل العلماء؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظارء؟ وكيف يرفع منصبك في مجالس الأمراء والوزراء، ليوصلك إلى الصلة والأرزاق، وولاية الأوقاف والقضاء؟ فاعلم أن الشيطان قد أغواك، وأنساك مُقلبك ومثواك، فاطلب لك شيطاناً مثلك! ليعلمك ما تظن أنه ينفعك ويوصلك إلى بغيتك، ثم اعلم أنه قد لا يصفو لك الملك في محلتك فضلاً عن قريتك وبلدك، ثم يفوتك الملك المقيم في جوار رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله أولاً وأخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآلته وصحبه وسلم.

* * *



لِكُوْنَةِ الْخَتَّابِ

لَقَدْ فَرَغْتُ مِنْ تَحْقِيقِ الطَّبْعَةِ الثَّامِنَةِ مَعَ بَعْضِ
الِإِضَافَاتِ وَالتَّعْدِيَاتِ الظَّفِيفَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
أَيَّامَ هِجْرَتِي فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ شَهْرَ الْمُحْرَمِ
سَنَةَ ١٤١٧ هـ.

فَنَرْجُوا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ حَلًّا لِإعْجَابِ الْقُرَاءِ،
وَقَبُولِهِ مُبْتَغِيًّا بِذَلِكَ دَعْوَةَ صَاحِبِهِ مِنْ أَخْ قَرِيبٍ،
أَوْ حُبِّ بَعِيدٍ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَسْفَعَ بِهَذَا السِّفْرِ الْعَظِيمِ الْجَمِيعِ،
لَأَنَّهَا بَعْثٌ مِنْ مَعِينِ خَالِصٍ، وَإِمَامٍ عَارِفٍ، وَأَسْتَاذٍ
كَاملٍ، فَرَحْمَمُ اللَّهُ الْمُؤْلِفُ، وَعَفَّا عَنِ الْمُقْرِّقِ، وَشَكَرَ
الْمَسَاهِمَ فِي خَدْمَةِ الْعِلْمِ الَّذِي سَيَبْقَى أَثْرُهُ، وَيُقْطَفُ
شَمْرُهُ أَحْقَوَهُ مَا نَكُونُ.

تَزْرِيلَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
الْفَقِيرِ إِلَيْهِ تَعَالَى

مُحَمَّدُ الْحَجَاجُ



الفَهْرِسٌ

الصفحة	الموضوع
٣	ترجمة المؤلف رحمة الله تعالى
١٣	مقدمة المؤلف رحمة الله تعالى
١٩	تقسيم طلاب العلم
٤٥	القسم الأول: في الطاعات
٤٧	آداب الاستيقاظ من النوم
٤٩	آداب دخول الخلاء
٥٤	آداب الوضوء
٥٥	أدعية الوضوء
٦٣	ما يطلب اجتنابه في الوضوء
٦٤	آداب الغسل
٦٧	آداب التيمم
٦٩	آداب الخروج إلى المسجد
٧١	آداب دخول المسجد
٧٦	آداب ما بعد الدعاء
٧٩	الأدعية الجامعة
٨٠	دعاة سيدنا عيسى عليه السلام
٨١	الوظائف الأربع بعد صلاة الفجر

الصفحة	الموضوع
٨٤	الكلمات العشر
٨٦	آداب ما بعد طلوع الشمس
٩١	درجات الناس في الحق الديني
٩٢	درجات العبد في حق العباد
٩٥	آداب الاستعداد للصلوة
١٠٤	آداب النوم
١١٥	آداب الصلاة
١٢٥	آداب الإمامة
١٣٤	آداب الجمعة
١٤٣	آداب الصيام
١٥٣	القسم الثاني: في اجتناب المعاishi
١٥٦	حفظ العين
١٥٩	حفظ الأدن
١٦٠	حفظ اللسان من ثمانية
١٦٣	الأول: حفظه من الكذب
١٦٤	الثاني: الخلف في الوعد
١٦٥	الثالث: حفظ اللسان من الغيبة
١٦٨	الرابع: حفظه من المراء والجدال
١٦٩	الخامس: حفظه من تزكية النفس
١٧٠	السادس: اللعن

الصفحة	الموضوع
١٧٢	السابع: الدعاء على الخلق
١٧٢	الثامن: المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس
١٧٣	حفظ البطن
١٧٥	حفظ الفرج
١٧٥	حفظ اليدين
١٧٦	حفظ الرجلين
١٨٠	القول في معاصي القلب
١٨٢	قصة طريقة في الحسد
١٨٦	دواء الكبر
١٩٠	آداب الصحبة
١٩٣	آداب العلم
١٩٤	آداب المتعلم
١٩٥	آداب الولد مع والديه
١٩٦	شروط الصحبة
٢٠١	حقوق الصحبة
٢٠٥	آداب المعاريف
٢١٧	كلمة الختام